تحليل آيات البخل في القرآن الكريم
في ضوء التداوليات المدمجة

الدكتور
باسم خيري خضير
جامعة المثنى- كلية التربية

أوروك للعلوم الإنسانية
المجلد : ٨ – العدد : ١ / ج١ - السنة : ٢٠١٥

تحليل آيات البخل في القرآن الكريم في ضوء التداوليات المدمجة

الدكتور

باسم خيري خضير

جامعة المثنى- كلية التربية

ملخص :

تعد نظرية التداولية المدمجة حلقة مهمة ومتقدمة من حلقات الدرس التداولي،فهي امتدادا لأعمال (بنفيست)، والمدرسة التحليلية ، فنجد التأسيس الأوضح لهذه النظرية في أعمال (ديكرو ، و انسكمبر) ؛ لأن ما انتهت إليه نظرية أفعال الكلام ستشكل منطلق أعمالها في بناء النظرية الحجاجية . تقوم نظرية التداوليات المدمجة على إلغاء فكرة الفصل بين مستويات اللغة (التركيب ، الدلالة ، التداول) التي اقترحها موريس ، وتدعم فكرة دمج المكونات الثلاثة في بعضها أثناء تحليل الخطاب ، فالتداولية المدمجة تهتم بالمستويين اللغوي والبلاغي ، فتحلل في الأول دور الوحدات التركيبية ، من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف وغيرها في المؤثرات المعنوية والدلالية ، و تحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها ، وما بينهما من علاقات ، وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك ، واعتمدت في بحثي هذا على تحليل نص قرآني مهم وهو آيات البخل ، وخرج البحث إلى نتائج أحسب أنها مهمة .

القسم الأول / في التداوليات المدمجة(Integrated Pragmatic) :

أولا / ماهية التداولية المدمجة :

ظهر مصطلح التداوليات المدمجة في أعمال (ديكرو ، و انسكمبر) ، ومثلت أساس نظرتهما في الحجاج ، وتهدف إلى الدفاع عن أطروحتين أساسيتين :

الأولى : تقوم التداولية المدمجة على الدفاع عن تصور لا وصـــفي للغة ، مفاده أن

الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (الوظيفة التمثيلية) بل تبلغ أعمالا لغوية من قبيل (الأمر والنهي والتمني والإخبار والحجاج) .

الثانية : أطروحة الإحالة الانعكاسية ، وتتلخص في أن معنى قول ما صورة من عملية إلقائه ، وبؤرة فهم قول ما هي فهم دواعي إلقائه ،ويكون معنى لقول متمثلا في النمط الذي سيق لإنجازه[١] .

يرى الباحثان استنادا إلى هذه النظرية أن التداولية لا توجد إلا مدمجة في الدلالة، فهي ليست مخرجا أخيرا لها ، ومن ثم يرفضان التقسيم الخطي / التراتبي ، الذي تعتمده النظريات اللسانية التقليدية في مقاربتها للملفوظات ، إذ قسمتها على مستويات متتالية تبدأ بالتركيب ثم الدلالة ثم التداولية ، وإنما مدمجة في بعضها ، فكل ملفوظ يحمل بشكل جوهري وداخلي مؤشرات تلفظية تمنحه معناه ، وتفسر اقترانه بهذا المعنى دون غيره، فكل ملفوظ يحمل في صورته مسارا لولوج دلالته ودليلا لتأويله ، فلو قلت : لقد نسيت مرة أخرى أين وضعت مفاتيحي ، فإن التداولية المدمجة تقر هنا بطلب إخبار عن موضع المفاتيح دون التصريح به[٢] .

فثمة عوامل غير لسانية تساهم في بنية النص ، وتوجه عملية التخاطب ، كبيئة المتكلم ، والفضاء الزمكاني ، ونوعية المستمع ، تسهم بشكل كبير في عملية التواصل ، وهذا خلاف ما جرت عليه النظرية البنيوية ، والنحو التوليدي بصفة خاصة ، من اعتبار الوظيفة التمثيلية للغة وظيفة أساس ، ما الوظيفة التواصلية إلا وظيفة ثانوية .

فقد دحض (بنفينست) النظرية البنيوية وقوليها المشهورين (البنية وإلقاء القول ، واللسان والخطاب) اللذين أكدا على استقلال الشكل بالنظر إلى المادة ، واستقلال اللغة بالنسبة إلى الواقع ، فالعلامة اللغوية في منظور البنيوية لا تهدف إلى ربط عبارة بشيء من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي (مرجع) وإنما تربط دالا بمدلول ، فأصبحت دراسة اللغة بعيدة عن المنظور الفلسفي والاجتماعي والنفسي ،وأصبحت

علاقة اللغة بالفكر علاقة غير علمية ، فأخرجت القضايا المتعلقة بالخطاب من ميدان اللسانيات عبر التفريق بين اللسان والكلام ، فكل واقعة من وقائع القول أو مرتبطة بإلقائه لا ترتبط باللسان وإنما بالكلام ، وهي مقابلة تشبه المقابلة بين النظام والاستعمال ، وأبعدوا كل المقاييس غير اللسانية التي تسهم في بناء القول ، وفي هذا الإطار أشار فتجنشتاين إلى أن الأسماء لا تدل على أشياء إلا إذا استعملت في قضايا أولية ، هذا الاستعمال أطلق عليه الاستعمال النظمي للأسماء ، أي استعمالها في قضايا تكون مركبة وفق النظم المنطقي ، لكن ثمة استعمالا آخر سماه الاستعمال الاجتماعي ، الذي يعني استعمال اللغة لتحقيق أغراض معينة من قبل أفراد معينين في مجتمع معين[٣] .

عالج بنفيست في مقالاته حول الذاتية في اللغة الضمائر المنفصلة التي تحيل على الأفراد (أنا ، أنت ، هو ...) ، وتوصل إلى أن وظيفتها لا تنحصر في الاختصار و الاقتصاد (تقوم مقام الاسم الصريح) بل إن هذه الوظيفة أكثر تعقيدا ، فاستعمال الضمير (أنا) يفيد بأن الناطق يتمسك بحقه في توظيف الكلمة نفسها التي يستعملها مخاطبه ، كنوع من التأكيد على التناظر والتكافؤ بين الذوات المتخاطبة ، والضمائر المنفصلة تمثل حسب بنفست اعترافا بالتذاوت بين المتخاطبين[٤] .

جاءت أعمال (ديكرو) امتدادا لأعمال (بنفست)، والمدرسة التحليلية ؛ لأن ما انتهت إليه نظرية أفعال الكلام ستشكل منطلق أعماله في بناء النظرية الحجاجية، من أن النشاط في هذا التصور الجديد لا يمثل فقط تبليغ المعلومات ، بل يتعدى ذلك ليجسد في ذاته نمطا من الفعل الذي يؤدي إلى إنشاء وقائع في العالم ، باعتماده على اللغة والكلام كأدوات له ، فرأى أن الفعل اللغوي سيشكل مرتكزا للحديث عن النشاط التلفظي ومن ضمنه الحجاج ، كفعل يقوم به المتكلم ، فتعكس آثاره واضحة في الملفوظ الذي ينتجه هذا النشاط [٥]، فعندما يريد المتكلم أن يبلغ أي فعل إنجازي

عبر وسمه وسما حجاجيا ، بتضمين الملفوظ مجموعة من العلاقات والإشارات التي تحدد كيف ينبغي تأويله ، وأي معنى يجب إسناده إليه ،وهذا ما أطلق عليه ديكرو ووانسكومبر (الحجاج في اللغة) فالخطاب التلفظي ينطوي وجوبا على خاصية حجاجية مباطنة له ، بتعبير ديكرو " إن الملفوظ ينطوي في ذاته على إشارة للطابع الحجاجي للمحمولات "[٦] ، وهذا الحجاج لا تحدده الاعتبارات المنطقية والخارجية ، بل اعتبارات مثبتة داخل نسيج الأقوال ، في العلاقات بين مكوناتها .

ثانيا / المعنى والدلالة في التداولية المدمجة:

تؤدي إستراتيجية التحليل البنيوي للتداولية المدمجة إلى إجراء تفريق أساسي يمتد تأثيره في الآن نفسه إلى التداولية المدمجة والمنوال الإبيستمولوجي الذي يكمن وراءها ، تشمل هذه المقابلة (الجملة مقابل القول) وصفاتها (الدلالة مقابل المعنى) . يعود هذا التفريق إلى راسل الذي تبنى موقفا نقديا يفرق بين المعنى والدلالة في اللغة العادي ، وتبعه فتجنشتاين[٧] .

١. الجملة والدلالة : دلالة الجملة موضوع التداولية المدمجة ، وتحدد الجملة بعدها وحدة مجردة يولدها المكون اللغوي ، وتشتق دلالتها من القواعد اللغوية فحسب ، انطلاقا من التعليمات المرتبطة بمكونات الجملة ، ولا ترتبط دلالتها بمبدأ الصدق أو قواعد التأليف ، وإنما بالقرائن الحجاجية ، والمكونات البلاغية ، التي تسهم في إسناد قيمة التغيرات التي تطرأ على دلالة الجملة .

٢. القول والمعنى : إن دلالة الجملة حصيلة بناء نظري غير مرئي ، أما المرئي فهو المعنى المرتبط بالقول ، وإذا كان القول حصيلة إلقائه فإنه لا يمثل معطى ملموسا ، أو ثابتا أكثر من الجملة، وبمعنى أن ديكرو لا يقصد بدلالة الجملة هنا معناها الحرفي ،أو البنية الدلالية الأدنى التي نجدها في كل ملفوظات هذه

الجملة باختلاف السياقات ، بل تلك الدلالة التي تنشأ في السياق الخاص والاعتماد على الإرشادات الخاصة ؛ لذلك تفترض التداوليات المدمجة أن كل متكلم قادر على تقديم فرضيات ينبغي تفسيرها ، عبر مرحلتين :

أ. ربط الفرضيات الخارجية التي تعين في تفسير المعنى بالفرضيات الداخلية- وهي مجموعة من القضايا التي تحدد خصائص المنوال (مُ)الذي يحاكي المنوال (م) الذي لا يمكن الوصول إليه ، الذي كان وراء الوقائع والأحداث (ح) موضوع الفرضيات الخارجية .

ب. مهمة الفرضيات الداخلية(مُ) إنتاج أحداث تحاكي الفرضيات الخارجية(حُ) ، ومماثلة لها .

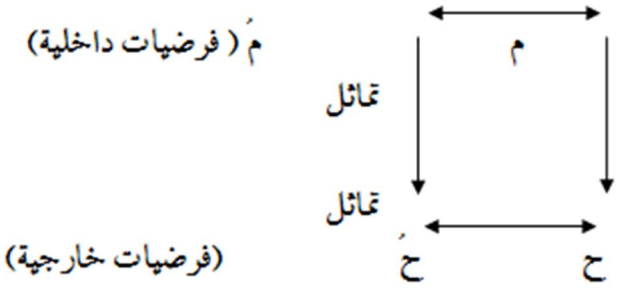

فالعلاقة بين (ح، حُ) ليست مباشرة ، فالذي ينتج (مُ) هو دلالة الجملة (حُ) أما ما ينتجه (م) فهو معنى الأقوال (ح) ؛ لذلك لا يمكن أن تكون علاقة التماثل بين (ح ، حُ) إلا جزئية تبعا لطبيعة هندسة التداولية المدمجة[٨] .

من هذا الحديث يمكن لنا أن ننبه على أن ديكرو وانسكومبر لم يعلنا القطيعة مع التحليل الدلالي الكلاسيكي ، وإنما أقاما تعديلا عليها ، تحقق هذا التعديل بإدماج بعض الوقائع الجديدة على هذا النوع من الدراسة ، وإعادة بناء للفرضيات الداخلية والخارجية لهذا النموذج التقليدي ، كما يلي :

١. الفرضيات الخارجية للتداوليات المدمجة : قام ديكرو ووانسكومبر بتعيين الوقائع التي ستصب عليها الملاحظة ، وذلك من خلال إثارة الانتباه إلى ظاهرة جديدة تتمثل في كون المتكلمين بلغة معينة يمتلكون القدرة على منح الملفوظات التي يتم إنجازها بواسطة هذه اللغة ، وهنا يتم السؤال عن الكيفية التي يتم بها تأويل هذه الملفوظات ، في أوضاع استعمالية مختلفة ، فلو قلنا مثلا :

أ. نسيت مرة أخرى أين ركنت سيارتي .

ب. سعد ذكي .

ت. سعد ذكي لكنه مهمل .

فالمخاطب بهذه الملفوظات يدرك مباشرة أن المتكلم بالملفوظ (١) ينجز فعل الاستخبار ، وبالملفوظ (٢) ينجز حجاجا لصالح سعد ، والملفوظ (٣) ينتج حجاجا ضد سعد ، والسؤال في التداولية المدمجة ، كيف تمكن من إسناد معنى الاستخبار في (١) ومعنى الحجاج الموجب في (٢) ومعنى الحجاج السالب في (٣) .

٢. الفرضيات الداخلية للتداوليات المدمجة : في هذه المرحلة تتولى الآليات الاصطناعية الواصفة المقابلة لهذه الظواهر في النموذج المصطنع ، الذي جرى تعديله بمهمة توليد بنيات مماثلة، مع إسناد الدلالة إليها ، وهذه البنيات يصطلح عليها ديكرو بالجمل ؛ ليميزها عن الملفوظات ، فالجمل هي القوالب التقليدية ذات المعاني الحرفية ، والملفوظات هي الجمل في السياقات المختلفة ، وله وجود حقيقي في حياة الناس ، فوظيفة لكن في الجملة (٣) دائما تسير بما بعدها نحو الانحدار السلبي ، أي في غير صالح النتيجة .

ثالثا / أدوار الحجاج في التداولية المدمجة :

إن التداولية المدمجة نظرية دلالية ، لا تخضع لقانون الصدق والكذب ، فلا تعتمد على الوظيفة الإبلاغية للخطابات ، إلا في درجة ثانوية ، تعتمد على الحجاج بالمعنى

الفني، ونفرق هنا بين الحجاج المنطقي والحجاج اللساني ، فالحجاج المنطقي ثابت في قالب واقعي كقولنا :(كل إنسان فان ، سقراط إنسان ، سقراط فان) فالقوالب التي ترد فيه ثابتة مستقلة عن بعضها البعض ، تحيل كل قضية منها على العالم الخارجي دون أي تعالق يذكر ، والتعالق فيها ليس بين الملفوظات ، وإنما مع القضايا التي تمثلها الملفوظات مع الخارجي، أما في الحجاج اللساني فالعلاقات الحجاجية التي نجدها في الخطاب الحجاجي مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته ، وليس بأوضاع العالم ، أو العلاقات المنطقية والعقلية التي تحكم قضايا البنى البرهانية ،وكذا فإن توجه الحجاجيات اللسانية كالقوة الحجاجية ، والتوجه الحجاجي ، والقصد الحجاجي والمقدمات المضمرة ، والسلم الحجاجي ، مفاهيم لا يمكن الاستغناء عنها أثناء وصفنا للملفوظات ، ومن الأمثلة على ذلك قولنا : أنا جد متأخر ، لكنّي سأشرب معكم كأسا من الشاي ، فهنا المتكلم يورد حجة مفادها أنه متأخر ، والتي تفترض أنها تعزز نتيجة أنه سينصرف ، ولكنه يوهنها حجاجيا اعتمادا على الرابط الحجاجي (لكن) متبوعا بالنتيجة (سأشرب معكم كأسا من الشاي) ، أن هذا الوصف يراعي معطيات السياق التداولي ، وخاصة الإستراتيجية التلفظية للمتكلم ،(مقاصده المضمرة) وهذا ما دعا ديكرو ، و أنسكومبر ، إلى التنظير لما يسمى بالتداولية المدمجة ،ومفادها :إن التداولية يجب إدماجها في الوصف الدلالي ، وليس فقط إضافتها إليه كما يمكن إدماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية ، فيجب إضافة الدلالة إلى الجمل ، إذ يجب إسناد دلالة كل جملة بشكل يسمح بتوقع معنى الملفوظ في سياق محدد[٩] ، ولو نظرنا مثلا إلى الأقوال التالية :

١. أ. كل التلاميذ حاضرون ، ومحمد تلميذ .

ب . إذن محمد حاضر

٢. السماء غائمة ، كما أن مؤشر البارومتر نزل بشكل واضح ، إذن فسوف تمطر

اليوم ، ثم إن النشرة الجوية توقعت ذلك ، فنحن في المثال (١) أما استدلال برهاني ؛ لأنه يستند مشروعيته وقوته من القوانين المنطقية ، التي ينتظم وفقها ، أما المثال (٢) فلا نستنتج فيه سقوط المطر وجوبا ، أو بلغة المناطقة .

فليس هناك لزوم في النقلة من الحجة إلى النتيجة ، كما في المثال الأول ، ولكن هذا الانتقال يتم بناء على معرفتنا بالعالم أولا ، ثم استنادا إلى الحجج المعروضة في الملفوظ ، التي قدمت لنا مبررات تجيز وقوع النتيجة (سقوط المطر) فالحجاج هنا لساني ، لأن الحجج كثرت احتمالات النتيجة[١٠] ، من كل ذلك نفهم أن الحجاج اللساني فلسفي تداولي ، نعده بناء مثنويا تقابليا يتواجه فيه عارض ومعترض ، ويتوجه فيه كل منهما بآليات إقناعية خاصة وحقوق وواجبات محددة ، هذه المقابلة المثنوية من شأنها أن تغير تصديقات أو إعتقادات المتقابلين ، بقصد من المتكلم ، بحيث يتحول الفعل الكلامي إلى فعل حجاجي ، ويتحول الحجاج إلى مفاعلة بين طرفي الخطاب[١١] .

وتعد العوامل والروابط الحجاجية من أهم المواضع التي ينعكس فيها هذا التوجه الحجاجي ، ومن هذا المنطلق اقر (ديكرو) بأن القول منطبع في المقول ، وتبعا لذلك فان الملفوظ يلمح إلى التلفظ ، بمعنى أن الملفوظات التي ننتجها في نشاطنا اللغوي تتكيف مع طبيعة الفعل اللغوي ، الذي تتولد عنه هذه الملفوظات ، ويظهر ذلك في البنية الداخلية لهذه الملفوظات[١٢]، فذهب ديكرو إلى أن القيمة الدلالية للعبارات تكون في المرجع الذي تحيل عليه ، وليس في المقابلات الدلالية بين العبارات ، فالتسليم باستقلال عملية إلقاء القول عن الدلالة يدحض نظرية الأفعال الكلامية .

فهي نظرية تقوم على نقد النظريات الخطية ، فلا وجود لترتيب خطي بين التركيب والدلالة والتداولية ، إنما البلاغة مدمجة في الدلالة ، إذ إن المعلومات غير اللغوية – المنتمية إلى المكون التداولي – مجموعة مع المعلومات اللغوية مع ترتيب

محدد ، فلا يتدخل مقام إلقاء القول إلا بعد أن تسند إلى الجملة دلالة تمثل حصيلة المكون اللغوي ، فدلالة الجملة هي موضوع التداولية المدمجة ، وتشتق هذه الدلالة من القواعد اللغوية انطلاقا من التعليمات المرتبطة بمكونات الجملة ، وهي القرائن القولية المشيرة إلى عملية إلقاء القول ؛ لذلك يجب إكمال المكون اللغوي بمكون بلاغي، مهمته إسناد قيمة إي ثابت للمتغيرات التي تتضمن دلالة الجملة[١٣] .

وقد أعاد محمد طروس صياغة أهم المفاهيم الأساسية و الأفكار الواردة في التداوليات المدمجة[١٤] :

-إن كثيرا من الأفعال القولية لها وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل ، وتحمل الجمل مؤثرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية.

-استقلال المقول عن المحتوى الخبري ،ومن ثم عدم الحكم عليه بالصدق أو بالكذب ؛لأنه لا تنطبق عليه شروط الصدق ومنه أصبح الحكم عليه يستند إلى القوة والضعف التي تحكم علاقة الحجج بعضها ببعض.

- سيندمج التداول في الوصف الدلالي ويشتغل مباشرة على البنية التركيبية فيسمى بالتداوليات المدمجة ، والوصف الدلالي آلة لها كفاءة الذوات المتكلمة نفسها، تربط المعنى بالقول وتصور لنا الحدث اللساني بوصفه امتدادا للذاتية .

والخلاصة أن" ديكرو "يحاول أن يدافع على فكرته وهي أن اللغة ذات توجيه حجاجي على عكس الصورة التي قدمها " سوسير " ، والتوجيه الحجاجي يكون لازما الجملة على الأقل ، والتي تحتوي دلالتها على توجيه ، إذ يقول" ديكرو " بتلفظنا لهذه الجملة نحن نحاجج في صالح استنتاج معين"، واعتبر أيضا أن التداوليات المدمجة هي بديل للمعالجة الدلالية التقليدية ، بأن عمدت التداولية المدمجة (إلى إدماج الظواهر التداولية في الدراسة الدلالية اللسانية)وأصبح الحجاج عنصرا ينتمي إلى اللغة [١٥] .

رابعا / سمات التداولية المدمجة(١٦) :

١. ليس اللسان شفرة بالمعنى الذي يقصده مهندسو الاتصال (شانون ، ويفر) بمعنى أنه وضع لغاية إيصال المعلومات ، بل لغاية التواصل؛ لأن معنى القول مرتبط ارتباطا وثيقا بعملية قوله .

٢. لا يمثل اللسان مجموعة من الإمكانات النحوية ، بل توجد شروط لغوية دقيقة تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها ، وحسن ائتلاف المكونات يسمى (بنيوية الخطاب المثالي) .

٣. من منطلق قاعدة اندماج التداولية في الدلالة ،فإن معنى القول يشمل جانبين ، دلالة الجملة (التركيب اللغوي) ومعنى القول (المجال البلاغي والتداولي) .

٤. إن العلاقة بين الأقوال علاقة حجاجية لا استناجية ، والقواعد الحجاجية التي تحكم تتالي الأقوال ، وتأويلها ليست قواعد منطقية أو استنتاجية ، بل معان حجاجية مطروقة متدرجة ومقبولة عند الناس .

٥. يندرج منوال التداولية المدمجة ضمن إبيستمولوجيا المحاكاة ، إذ تقوم المسلمة الرئيسة على تمييز مجال الواقع الذي لا ندرك منه إلا الوقائع والأحداث (ح)، وهي خرج المنوال (م) من عملية المحاكاة العلمية ويتمثل دور عملية المحاكاة في بناء منوال نظري (مُ) مماثل للمنوال (م) الذي كان منطلق الأحداث الملاحظة وأساسها ، ويهدف (مُ) لإنتاج أحداث (حُ) مماثلة للأحداث (ح) .

ومما سبق فالتداولية المدمجة " تهتم أساسا بالمستويين اللغوي والبلاغي ، إذ تحلل في الأول دور الوحدات التركيبية ، من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف ... في المؤثرات المعنوية والدلالية ، في حين تحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها ، وما بينهما من علاقات ، وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك" (١٧) .

القسم الثاني / تحليل آيات البخل في ضوء التداوليات المدمجة :

وردت دلالات البخل في آيات عديدة في القرآن الكريم ، أوردها الخطاب القرآني في موارد معينة ، تارة بالتصريح باللفظ ، وأخرى بكنايات تدل عليه وتزيد ، فالخطاب القرآني نظم كلمه بصورة مثلت أعلى درجات الاعتداد بالمعنى ، والدقة في إيراد اللفظ الموضوع له في ذلك السياق ، وإنجازه بطرائق عديدة ووسمه بمزايا معينة بغية إقناع المخاطب به ، أو الاستعانة بألفاظ أخرى للدلالة عليه ، حسبما يقتضيه السياق المقالي لها ، وتتوزع هذه الاستعمالات بين الاستعمالات الحقيقية والمجازية ، واختلف الخطاب القرآني تبعا للمعنى المراد إيصاله ، وحث المتلقي على الوثوق والاقتناع به ، ومن ثمَّ تلبية الأوامر والنواهي التي ترد في الخطابات ، وكذلك استعمال الأدوات التداولية الحجاجية، وتوظيفها في ذلك السبيل.

أولا / البخل :

وردت لفظة البخل في القرآن الكريم في أربع آيات ، ففي قوله تعالى في سورة آل عمران " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " (أل عمران ١٨٠) .

فيطوّقون مشتقّ من الطاقة ، وهي تحمُّل ما فوق القدرة أي سيحملون ما بخلوا به وامتنعوا عن إتيان الزكاة ، أي يكون عليهم وزراً يوم القيامة[١٨] ، أو هو مشتق من الطَّوْق ، وهو ما يلبس تحت الرقبة فوق الصدر ، أي تجعل أموالهم أطواقاً يوم القيامة فيعذّبون بحملها ، وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم " مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ أَرْضٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[١٩] والعرب يقولون في أمثالهم: "تقلّدها (أي الفعلة الذميمة) طوقَ الحمامة"[٢٠] . وعلى كلا الاحتمالين فالمعنى أنّهم يشتهرون بهذه المذمّة بين أهل المحشر. فقد ربط الخطاب القرآني الفعل الدنيوي وهو البخل ،أو الإمساك عمّا أعطاه الله للبشر ودفعه لمستحقيه ، وما يترتب على ذلك

الإمساك من فساد في الأرض نتيجة للإعراض عن دفع المستحقات ، ربطه بالعقاب الأخروي الذي سيلقاه ، وإنه سيطوق بذلك المال ويجعله الله طوقا ثقيلا يحمله يوم القيامة ، ونلحظ استعمال تراكيب معينه في هذا الخطاب ، قوله (ولا يحسبن)وهو فعل إنجازي حسب(جون سورل)[٢١] دلالة على وهم البخلاء ، وظنهم أن الإمساك عن الإنفاق مما آتاهم الله ، وتزيين الشيطان لهم هذا العمل بأنه منفعة لهم وخير ، بدلالة قوله تعالى" الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ " (البقرة ٢٦٨) ، وقوته الإنجازية الاستدلالية من أنه ساق بديهيات مشهورة هي في غنى عن التدليل للتسليم بها ، من مقتضيات ومعارف مشتركة اجتماعية ، فمسألة الامتناع عن دفع الأموال تعد كسبا ماديا ، ثم ساق الحجة في إبطال تلك البديهية ، بأن جاء الاستدراك باستعمال الأداة (بل) ، وهي من الروابط الحجاجية المهمة حسب (شارل موريس) التي تفصل بين مفهوم خاطئ ، أو حجج ضعيفة ونتائج قوية أو حجج قوية ، وكذلك فهي من الأدوات الحجاجية المهمة في العربية ، وقوتها الحجاجية في قطعها بخطأ الكلام السابق لها وصحة الكلام اللاحق لها [٢٢] ، وتكمن قوتها في أن المتكلم يرتب بها الحجج في السلم الحجاجي بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة ، ومن دلائل سُلَّميتها أن المخاطِب قد يضرب عن الحجة الأدنى إلى الحجة الأعلى ، ثم جاء الرد الإلهي باستعمال نقيض الخير ثم استعمل المعنى المجازي أو الحقيقي وهو(سيطوقون) فاستعمل الأداة السين مع أنها تدل على المستقبل القريب ، في حين نرى بأن الوعد الإلهي في هذه الآية بعيدا، أي يوم القيامة ، دلالة على إرادة التقريب في هذا الأمر ، وتصويره بالأمر الواقع لا محالة ؛ لدفع المخاطب على الابتعاد عن المنهي عنه، ودل على البخل "يَبْخَلون " كما دَلَّ " السَّفيه " على السَّفه في قول الشاعر :

إذَا نُهِـــيَ السَّـــفِيهُ جَـــرَى إلَيْـــه وَخَـــالَفَ وَالسَّـــفِيهُ إلى خِـــلاَفِ

قوله جرى إليه، أي جرى إلى السفه، واكتفى بالفعل من المصدر[٢٣].

قال أبو حيّان(ت ٧٤٥هـ) : "وليست الدلالةُ فيهما سواء ؛ لأن الدالَّ في الآية هو الفعلُ ، وفي البيتِ هُوَ اسم الفاعِل ، ودلالةُ الفعلِ على المصدرِ أقوى من دلالة اسم الفاعل ، ولذلك كَثر إضمار المصدرِ ؛ لدلالة الفعل عليه - في القرآن وكلام العربِ - ولم يؤثر دلالةُ اسم الفاعل على المصدر ، إنما جاء في هذا البيتِ ، أو في غيره أن وُجد أن في الآية حَذفاً لظاهرٍ ؛ إذ قدَّروا المحذوف " بخلهم " وأما فهو إضمارٌ لا حذفٌ" (٢٤) .

وأما (سيطوقون) فهو فعل الكلام التأثيري الوعيد -حسب (سورل)- ويسميه (فعل أثر التلفظ) وهو المفهوم الذي يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع ، فبالحجاج يمكنني أن أقنع شخصا ما ، وبالإنذار أخيفه ، وبالطلب يمكنني أن أجعله يعمل شيئا، وبعبارة أخرى فهذا الفعل من أفعال الوعد (Les promissifs)وهي أفعال تلزم المخاطب بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية، وأفعال الوعيد فرع منها(٢٥) ، وبذلك فعلاقة الفعل الإنجازي بالفعل التأثيري أعلى من تلك العلاقة التي اقترحها أستاذ سورل (أوستين) الذي عدَّ فعل الانجاز مواكبا لفعل القول بفروعه الانجاز والتأثير(٢٦) ، ولقد ساق الخطاب القرآني الفعل الإنجازي وحفه بالعامل الحجاجي الذي قوى وقعه ، وكمل عملية تأثيره ، بأن مهد له بأن أتى بالحجاج السلبي ، ضد الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، ثم أعقبه بحجة كبرى مفادها سفاهة هؤلاء ؛ لأنهم يمنعون عن الناس ما لا يملكونه ، فما بخلوا به ليس لهم ، وإنما" وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" .

نلحظ أن الخطاب القرآني عندما دمج دلالة الألفاظ بالقوة الإنجازية لها ، وربط الخطاب بمجموعة من الروابط والعوامل ، بغية تقوية المعنى والحث على صفة غاية في الأهمية وهي الإنفاق ، وتجنب صفة ذميمة وهي الإمســاك ، وما تؤديه من

خسارة في الدنيا والآخرة .

وقد وردت لفظة البخل صريحة في قوله تعالى " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا "(النساء ٣٦ – ٣٧) .

ابتدأ الخطاب القرآني بالأمر بالإحسان وجملة " إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً " تذييل لجملة الأمر بالإحسان إلى من سمّاهم بذمّ موانع الإحسان إليهم الغالبة على البشر . والاختيال : التكبّر ، على وزن(افتعال) مشتقّ من الخُيَلاء ، يقال : خالَ الرجلُ خَوْلا وخَالا ، والفخور : الشديد الفخر بما فعل ، وكلا الوصفين منشأ للغلظة والجفاء ، فهما ينافيان الإحسان المأمور به ؛ لأنّ المراد الإحسان في المعاملة وترك الترفّع على من يظنّ به سبب يمنعه من الانتقام ، ومعنى نفي محبّة الله تعالى نفي رضاه وتقريبه عمّن هذا وصفه ، وهذا تعريض بأخلاق أهل الشرك ، لما عرفوا به من الغلظة والجفاء ، فهو في معنى التحذير من بَقايا الأخلاق التي كانوا عليها ، وجملة " الذين يبخلون " بدلاً من (مَن) في قوله : "من كان مختالاً فخوراً " فيكون قوله :" والذين ينفقون أموالهم " معطوفا على " الذين يبخلون " ، وجملة "واعتدنا "معترضة، وهؤلاء هم المشركون المتظاهرون بالكفر، وكذلك المنافقون(٢٧) .

وإذا عدنا للنص نرى الخطاب ابتدأ بالدعوة إلى عبادة الله وعدم الإشراك به ، و عطف التشريع الذي يختص بالمعاملة مع ذوي القربى والضعفاء و الإحسان إليهم وعدم البخل بما آتاه الله ، وقدم له الأمر بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك على وجه الإدماج ؛ للاهتمام بهذا الأمر وأنه أحق ما يتوخاه المسلم، تجديدا لمعنى التوحيد في نفوس المسلمين، والمناسبة هي ما أريد جمعه في هذه السورة من أحكام أواصر

القرابة في النسب والدين والمخالطة، والخطاب للمؤمنين ؛ ولذلك قدم الأمر بالعبادة على النهي عن الإشراك ؛ لأنهم قد تقرر نفي الشرك بينهم وأريد منهم دوام العبادة لله، والاستزادة منها، ونهوا عن الشرك ؛ تحذيرا مما كانوا عليه في الجاهلية، ومجموع الجملتين في قوة صيغة حصر؛ إذ مفاده: اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره فاشتمل على معنى إثبات ونفي، كأنه قيل: لا تعبدوا إلا الله، والعدول عن طريق القصر في مثل هذا من طرائق العربية في التعبير عندما يكون الأمر مهما والعدول عنه يؤدي إلى مفاسد دنيوية على المجتمع الإسلامي ،وهما فعلان إنجازيان (أعبدوا ، لا تشركوا) قوتهما الإنجازية جاءت من صيغتي الأمر والنهي اللتين جاء الفعلان بهما ، ولا شك أن عبادة الله وعدم الإشراك به فعلان يقتضيان معرفة الله والاعتقاد بوحدانيته وبراءته من الند والكفء ، وإنما يصار إليها عندما يكون الغرض الأول هو طرف الإثبات، ثم يقصد بعد ذلك نفي الحكم عمّا عدا المثبت له؛ لأنه إذا جيء بالقصر كان المقصد الأول هو نفي الحكم عما عدا المذكور وذلك غير مقتضى المقام هنا، ولأجل ذلك لما خوطب بنو إسرائيل بنظير هذه الآية خوطبوا بطريقة القصر في قوله "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً" (البقرة٨٣) ؛ لأن المقصود الأول إيقاظهم إلى إبطال عبادة غير الله، لأنهم قالوا لموسى: "اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" ولأنهم عبدوا العجل في مدة مناجاة موسى ربه، فأخذ عليهم الميثاق بالنهي عن عبادة غير الله(٢٨) .

ثم جاء قوله تعالى " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " وهو فعل انجازي قوته تكمن في إيراد الترتيب الثاني بعد توحيـــــد الله

سبحانه ، وهو الإحسان بالوالدين ، والفعل محذوف تقديره (أحسنوا) بالوالدين إحسانا ، وقدم المتعلق (الوالدين) على متعلقه (إحسانا) كان لغاية حجاجية تتمثل في التأكيد عليه والاهتمام به .

و قد أعقب عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين ؛ لأن الإحسان إلى الوالدين من الواجبات التي تفرض على المؤمن وتأتي بعد إلزامية عبادة الله وعدم الإشراك به ؛ دلالة على قوة إلزام الإحسان إلى الوالدين وترك صفة البخل معهم ، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: "أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ"(لقمان ١٤) ، وكقوله: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"(الإسراء ٢٣)، و"ذي القربى " فعل كلام إنجازي بتقدير المحذوف نفسه ، والإحسان لذي القربى يأتي بعد الإحسان للوالدين مباشرة ؛ لما لذلك الإحسان من آثار اجتماعية على الفرد والمجتمع ، ففيه تتحد المجتمعات وتنماز بالقوة والمنعة التي يحجبها البخل ، واليتامى طريقة أخرى من طرائق الإنفاق وقوته الإنجازية من الحث على الإنفاق على اليتيم ، والمساكين كغيره من الملفوظات الإنجازية ففيها الحث على الإنفاق وكذا "وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد أمرت الناس بإخلاص العبادة لله تعالى كما أمرتهم بالإحسان إلى آبائهم وإلى أقاربهم وإلى البائسين والمحتاجين وغيرهم ممن هم في حاجة إلى مدّ يد العون والمساعدة ، وبتنفيذ هذه الوصايا السامية تسعد الإنسانية ، وتنال ما تصبوا إليه من رقى واستقرار، ولا ننسى تفضيل الخطاب القرآني للمصدر (إحسان) بدلا من الفعل (أحسنوا) لما للمصدر من بعد حجاجي يقوى على الفعل ، فالمصدر اسم ،يدل على الثبات ، والفعل يدل على التجدد والتغير ، ولا شك أن الخطاب القرآني أراد بالإحسان أن يكون دائما وثابتا غير متغير .

ثم قال سبحانه وتعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا " فقد نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين : الاختيال وهو التكبر ، والفخر هو عد المناقب على سبيل التطاول بها ، والتعاظم على الناس ، والفعل ملفوظ انجازي، وقوته في صيغة النفي التي جاء بها، وهو فعل تأثيري جاء بعد ذكر الله صفات التي يجب أن يتصف بها المؤمنون من عبادة الله والإيمان به وعدم الإشراك ثم الإنفاق في سبيله ، بعد ذلك جاء الفعل ليؤكد إثبات نفي حب الله لمن اتصف بهاتين الصفتين؛ لأنّ من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه على الإخلال بمن ذكر في الآية ممن يكون لهم حاجة إليه ، ونلحظ سمات الحجاج اللساني فيما سبق وفي مجيء التوكيد بإن متلوا بالنفي ؛ ليؤكد قطعية نفي حب الله لمن خالف إلزاماته ، والتأكيد فعل كلام انجازي بالوعيد لكنه ضمني ؛ لأنه سبحانه وتعالى لم يذكر التوعد لمن خالف وصاياه ، وإنما أشار إلى أقصى درجات الوعيد الإلهية بضمنية خروج من خالف من خيمة الحب الإلهي ، وهذا النوع من السياقات التي دفعت بأوستين إلى التخلي عن التفريق بين الفعل الوصفي والفعل الإنجازي، الذي يتفرع منه الفعل التأثيري الذي يتحقق نتيجة للكلام الذي يسبقه[٢٩] .

وهاتان الصفتان أصيلتان في التراث الفكري العربي " قال أبو رجاء الهروي : لا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً ، ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقياً" [٣٠] ، وتمثل هذه النظرة في التراث العربي جملة المعايير المقامية التي يتعين الاستجابة لها لنجاح الفعل وهو (نفي حب لله لمن اتصف بهذه الصفات) ومثلت تلك المعايير الصيانة الحقيقية للفعل من الإخفاق في معناه التوصيلي ، أو إيصال معناه القضوي ولكن بصورة سيئة ، فهناك اتفاق مؤسساتي عرفي مقبول حمى ذلك الفعل من الرفض،متعارف عليه لدى المشاركين في عملية التبليغ[٣١]

وقوله: " الذين يبخلون" في محل نصب بدلا من قوله : " من كان مختالا فخورا" ،

وهي مكون ذيل لها صفات خطابية أساسية ، منها أن الغرض من إيراده التعليق على معلومة واردة في الخطاب السابق وإيضاحها وتبيينها وتحديدها ، أو تعديلها أو تصحيحها وهي جملة " من كان مختالا " ، " ويجوز أن جملة(الذين يبخلون)منصوبة على الذم ، أو في محل رفع على الابتداء والخبر مقدر : أي لهم كذا وكذا من العذاب ، ويجوز أن تكون مرفوعة بدلا من الضمير المستتر في قوله: (مختالا فخورا) ، ويجوز أن تكون منصوبا على تقدير أعني أو مرفوعا على الخبر والمبتدأ مقدر : أي هم الذين يبخلون والجملة في محل نصب على البدل ، ومع أن البخل المذموم في الشرع هو الامتناع عن أداء ما أوجب الله، وهؤلاء المذكورون في هذه الآية ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل ، الذي هو أشر خصال الشر ما هو أقبح منه ، وأدل على سقوط نفس فاعله وبلوغه في الرذالة إلى غايتها، وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم وكتمهم لما أنعم الله به عليهم من فضله (يأمرون الناس بالبخل) كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجا ومضاضة، فلا كثر في عباده من أمثالكم هذه أموالكم قد بخلتم بها ؛ لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعه فما بالكم بخلتم بأموال غيركم ؟ مع أنه لا يلحقكم في ذلك ضرر ، وهل هذا إلا غاية اللوم ونهاية الحمق والرقاعة وقبح الطباع وسوء الاختيار؟"[٣٢] .

والفعلان " يبخلون ويأمرون " فعلان إنجازيان من قبيل أفعال العرض (Les expositifs) - حسب أوستين - أو من قبيل أفعال الإثبات(L es representatives) - حسب سورل - وهي أفعال وصف المتكلِّم للمتكلَّم عنه ومحاولته إثبات صدق كلامه، وللفعل (يأمرون) بعد تداولي آخر من خلال الانتقاء للفعل ، فلم يقل سبحانه (يدعون ، أو يدفعون) أو أي فعل آخر يؤدي دلالة الفعل نفسها ، فهو فعل يأسر متلقي الخطاب ؛ بما له من معنى معجمي كفيل بالتأثير على المتلقي ، فالفعل أخذ قوته الإنجازية من المعنى القضوي(الدلالي) له ، فقد صـور

سبحانه سلطة البخلاء على الناس وأمرهم لهم بإتباع تلك الصفات الذميمة .

والفعل (يكتمون) فعل انجازي قوته الإنجازية من المعنى القضوي الذي جاء به الفعل ، فالفعل يحوي حمولة دلالية ضمنية من معاني عرفية جاء بها ، وسياقية إقتضائية تولدت من الطبقات المقامية التي أنجز فيها الفعل ، وقد سمى (غرايس) هذه المعاني بالاستلزام الحواري الخاص والعام ، أو تحجر القوة الإنجازية المستلزمة [٣٣]، فالفعل يحمل معنى صريحا يتمثل في أن هؤلاء لا يعلنون ما آتاهم الله ، ويخفون نعمته من الإعلان على الملأ ، والمعنى الآخر الضمني أن ذلك الكتمان يتبعه امتناع عن أداء الحقوق والواجبات الشرعية المترتبة على أموالهم الخمس والزكاة والصدقات وغيرها ، فالفعل تطور من المعنى الصوتي له إلى المعنى الاستلزامي ، ووصل بعد ذلك الفعل إلى مرحلة تحجر المعنى الظاهري للفعل وانمحت دلالته الحرفية ، وظهر فوقه المعنى الضمني ، وأصبحت دلالته الوحيدة في هذا السياق هي الدلالة المستلزمة .

وقوله سبحانه: " وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا " وهذا الفعل من أفعال الوعد (Les promissifs) وهي أفعال تلزم المخاطب بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية ، أو هو من أفعال التأثير أو أفعال التعهد والتي لها علاقة بالمتكلم إذ يعبر الباث من خلالها عن التزامه بفعل شيء معين[٣٤] ،أو الوعديات التي تلزم المتكلم بالقيام بتصرف ما بطريقة ما مثل الوعد والوعيد والتعاقد والعزم والقسم والتفضيل ، وتحمل على قول إنشائي " سأفعل "[٣٥] ، وأضافت دلالة (اعتدنا) بعدا آخر لخصوصيتها القضوية ، فهي من الفعل (عتد) أي هيأ وأعدّ ولكن بتأكيد أكبر ، ومنه العتاد الذي يستعمل في المعارك[٣٦] .

نلحظ أن الخطاب القرآني اختار جملة من الأفعال الانجازية ، سواء الوعيدية أو الأمرية ، ولكنها في الوقت نفسه حملت دلالات قضوية ، تختلف عما سواها ، في

إيصال المعنى ، والتأكيد عليه ، وإقناع المخاطَب به ، ولضيق مقام البحث اقتصرت على آيتين وتركت أخريين ؛ لمشابهة دلالة الآيات مع الآيتين اللتين ذكرتا.

ثانيا / الشحُّ :

الشين والحاء، الأصل فيه المنع، ثم يكون منعاً مَعَ حِرص ، من ذلك الشُّحُّ، وهو البُخل مع حِرص[٣٧]،وهو الشُّحُّ والشَّحُّ والضم أعلى وقيل: هو البخل مع حِرْصٍ وفي الحديث: إياكم والشُّحَّ، الشُّحُّ أَشدُّ البخل، وهو أَبلغ في المنع من البخل، وقيل: البخل في أَفراد الأُمور وآحادها ، والشح عام وقيل البخل بالمال والشح بالمال والمعروف[٣٨] ، وفرق أبو هلال العسكري(ت بعد ٤٠٠هـ) بينهما وقال:" قد يفرق بينهما بأن الشح: البخل مع حرص، فهو أشد من البخل ، وقيل: الشح: اللؤم، وأن تكون النفس حريصة على المنع ، وفي الحديث (الشح أن ترى القليل سرفا، وما أنفقت تلفا) وفيه أيضا: البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشح بما في أيدي الناس، وعلى ما في يده حتى لا يرى في أيدي الناس شيئا إلا تمن أن يكون له بالحل والحرام، ولا يقنع بما رزقه الله تعالى "[٣٩] وفي قول ابن فارس والعسكري ما يكفينا للتفريق بين اللفظتين ونفي الترادف بينهما ، فبينهما علاقة العموم والخصوص فالشح منع الخير عموما عن مستحقيه ،والحرص على ذلك بدليل قوله سبحانه " أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ" (الأحزاب ١٩) ، فهناك ألفة بين الشح والطبع ، وإلى هذا أشار أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤ هـ) " البخل هو نفس المنع والشح الحالة النفسية التي تقتضي ذلك المنع "[٤٠].

و الشح وصف ملازم للإنسان وغريزة جبل عليها ، وهو مركوز في الطبع لا يكاد يغادره لا يتحول بسهوله ، بخلاف البخل الذي فيه حدوث وتجدد يخضع للأمر والنهي ، والكثرة والقلة ؛ لذلك عبر القرآن الكريم عن البخل بالاسم والفعل بالثبات والتغير ، ولم يعبر عن الشح سوى بالاسم دلالة على الثبات ، وإضافته إلى

النفس خير دليل على ارتكازه فيها[٤١] ، قال سبحانه " وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "(الحشر ٩).

وقد وردت لفظة الشح في القرآن الكريم في أربع آيات، ثلاث منها مع النفس أما مضافة أو وصف لها ، ورابعة لم تضف إلى النفس .

قال تعالى: " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (الحشر ٩) وقوله تعالى " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (التغابن ١٦).

فجملة " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " تذييل ، والواو اعتراضية ، و التذييل من قبيل الاعتراض في آخر الكلام على الرأي الصحيح ، وتذييل الكلام بذكر فضل من يوقون شح أنفسهم بعد قوله : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " يشير إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة ،هو سلامة من شح الأنفس فكأنه قيل لسلامتهم من شح الأنفس " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "، وللذيل في هذه الجملة دور حجاجي مهم وهو التأكيد لمفهوم الكلام ،يقول الزركشي "التذييل هو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول ؛ تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه"[٤٢] ،وأضيف الشح في هذه الآية إلى النفس ؛ لأنه غريزة لا تسلم منها نفس،وصيغة القصر المؤداة بضمير الفصل للمبالغة لكثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس ،حتى كأن جنس المفلح مقصور على ذلك الموقى[٤٣] ، والحصر فعل تأكيد غير صريح (معنوي) ، وكذا فإن سياق نزول سورة الحشر في واقعة المسلمين مع بني نضير، في ذكر خصال المؤمنين ومؤازرتهم لبعضهم وإنفاقهم على بعضهم ،وذكر أعدائهم وخذلانهم والحشر يعني حشر اليهود وإخراجهم من الجزيرة العربية على يد المسلمين [٤٤].

وإذا رجعنا إلى تحليل الآية " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " فقد استعمل سبحانه وتعالى الفعل المبني للمجهول وهو (يوق) ولم تقل الآية (ومن يتق شح نفسه) وإنما آثرت الفعل المبني للمجهول ؛ لتبين لنا أن تلك الوقاية لا طاقة لنا بها ، وإنما هي فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده ؛ ليكون من المفلحين ، ولعل إخفاء الفاعل في قوله سبحانه له أسباب أخرى تتعلق بما يوق ، فكما عرفنا أن الشح غريزة إنسانية متمركزة في النفس البشرية ، وهي من الطباع والسجايا التي جبل عليها الإنسان ، وهي راسخة في النفس البشرية لا تنفك عنها إلا أن يشاء الله ، ويدلنا على ذلك سبب نزول الآية المباركة وهي الآية التاسعة من سور الحشر ، فقد روي أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)" دفع برجل من أهل الصُّفَّة إلى رجل من الأنصار فذهب به الأنصاري إلى أهله ، فقال للمرأة هل من شيء؟ قالت : لا إلا قوت الصبية ، قال : فنوِّميهم، فإذا ناموا فآتيني ، فإذا وضعت فأطفئي السراج ، وقدم الأنصاري إلى ضيفه ما عنده من قوت عياله ، ولما ذهب إلى رسول الله قال لهم : قد عجب من فعالكما أهل السماء فنزلت الآية الكريمة"[٤٥] ،نلحظ من سياق نزول الآية ،أن سياق نزولها مقام نصح للمؤمنين وبشرى لهم ، نزلت في وصف أحد المسلمين وقد آثر إكرام ضيفه وإطعامه على إطعام أطفاله الجياع النائمين ، مع أنه لا يملك سوى ذلك الطعام الذي يمكن أنه لا يتعدى رغيفا أو حبات تمر ، ولكنه آثر على نفسه وأطعم أخاه المسلم ، وأعجب هذا العمل أهل السماء من الملائكة والمقربين ؛ فنزلت الآية الكريم في وصفه ، فخصاصة المسلم الذي نزلت الآية في حقه يفسرها سبب نزول الآية وهو أنه لا يملك سوى ذلك الطعام ، وتخلصه من شحة النفس ومن إمساكه عن ما أعطاه الله من الرزق القليل جاء بتوفيق من الله ، بدليل البناء للمجهول ؛ ولذلك نرى أن الخطاب القرآني ينسب فعل البخل للبشر لأنه من خصالهم ، ولكنه عندما ينسب فعل الوقاية من البخل أو الشح ينسبه لنفسه

؛دلالة على رعايته للناس وحلمه ورأفته بهم ، و(يوق) فعل مقال حسب الأطروحة الاوستينية الأولى ،ولم ينسب الفعل للمتكلم ؛ لأنه لو نسب للمتكلم لصار فعلا إنجازيا منسوبا إلى المسلم ، ولكن بناءه للمجهول جعله منسوبا إلى الله ، فخالف الفعل المعايير المقالية التي كان من الممكن أن تنسب الفعل للمسلم ، في بنائه للمجهول ، ومن أهم تلك المعايير التي وضعها(أوستين) أن يكون فاعل الفعل المتكلم ، وأن يكون بناؤه للمعلوم ، وأن يكون الفعل متصرفا في زمن الحاضر ، ولكن حسب المرحلة الثانية للأطروحة الاوستينية ، فهو فعل انجازي وقوته الإنجازية من قول المتكلم ، ونسبة الكلام إليه وتلفظه به وتحقق فعل ما وانجازه بمجرد قوله(٤٦) ، فجاء الخطاب القرآني في مقام النصح والإرشاد والبشرى ، وقدم الفعل الإنجازي ، محفوفا بسمات حجاج فني ، قدم صفات المؤمنين الذين سكن الإيمان قلوبهم ، الذين يحبون المهاجرين ، ويؤثرون على أنفسهم ، مع عوزهم ، ثم أخر صفتهم وهي وقاية النفس من الشح ، وأخر النتيجة النهائية وهي فلاحهم في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"(التغابن ١٦) فقد نزلت سورة التغابن عندما كان الرجل يهاجر فيمنعه أهله وولده " ويقولون له : ننشدك الله أن تذهب وتدع اهلك وعشيرتك ، وتصير بلا أهل وعشيرة فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر"(٤٧) فالفاء تفريعة على ما تقدم، أي إذا علمتم هذا فاتقوا الله فيما يجب من التقوى في معاملة الأولاد والأزواج ومصارف في الأموال ، فلا يصدكم حب ذلك والشغل به عن الواجبات، ولا يخرجكم الغضب ونحوه عن حد العدل المأمور به، ولا حب المال عن أداء حقوق الأموال وعن طلبها من وجوه الحلال، فالأمر بالتقوى شامل للتحذير المتقدم وللترغيب في العفو كما تقدم ولما عدا ذلك، فلا يمنعكم حب أولادكم عن أداء الواجبات من الإنفاق في سبيل الله والخطاب للمؤمنين، واستغني عن متعلق "اتقوا"

لقصد تعميم ما يتعلق بالتقوى من جميع الأحوال المذكورة وغيرها وبذلك يكون هذا الكلام كالتذييل ؛ لأن مضمونه أعم من مضمون ما قبله ؛ ولما كانت التقوى في شأن المذكورات وغيرها قد يعرض لصاحبها التقصير في إقامتها ؛ حرصا على إرضاء شهوة النفس في كثير من أحوال تلك الأشياء زيد تأكيد الأمر بالتقوى بقوله: "مَا اسْتَطَعْتُمْ" ، و (ما) مصدرية ظرفية، أي مدة استطاعتكم ليعم الأزمان كلها ويعم الأحوال تبعا لعموم الأزمان ويعم الاستطاعات، فلا يتخلوا عن التقوى في شيء من الأزمان، وجعلت الأزمان ظرفا للاستطاعة ؛ لئلا يقصروا بالتفريط في شيء يستطيعونه فيما أمروا بالتقوى في شأنه ما لم يخرج عن حد الاستطاعة إلى حد المشقة قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" (البقرة:١٨٥)، فليس في قوله: "ما استطعتم" تخفيف ولا تشديد ولكنه عدل، وإنصاف، ففيه ما عليهم وفيه ما لهم[٤٨] ، فبينت الآية بأنه من يُوق شُحّ نفسه بإنفاقها في مرضاة الله ، بأن يُقدمها للمَتالف والمتاعب في طلب الوصول ، فأولئك هم المفلحون الظافرون بشهود الحق، و " قال القشيري : ومَن يُوق شُحّ نفسه حتى يرتفع عن قلبه الأخطار ، ويتحرّر من رِقّ المكونات ، فأولئك هم المفلحون، وعن بعضهم : مَن أنفق بكُرهٍ فهو شح ، ومَن أنفق بطوعٍ فهو الفرض ، ومَن عُوفي من بلاء الجمع والمنع ، والرغبة والحرص ، فقد دخل في ميدان الفلاح" [٤٩] .

وجملة "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" تذييل ، وثمة علاقة بين الذيل والحمل في النص السابق ، وهي علاقة ربط إحالي ، بين الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله المتقدمة وبين الدعوة إلى ترك الامتناع عنه .

و(من)اسم شرط وهي من صيغ العموم، أي كل من يوق شح نفسه ، والعموم يدل على أن (من) مراد بها جنس لا شخص معين ولا طائفة، وهذا حبٌ اقتضاه حرص أكثر الناس على حفظ المال وادخاره والإقلال من نفع الغير به، والمعنى: أن

الإنفاق يقي صاحبه من الشح المنهي عنه فإذا يسر على المرء الإنفاق فيما أمر الله به فقد وقي شح نفسه وذلك من الفلاح.

ولما كان ذلك فلاحا عظيما جيء في جانبه بصيغة الحصر بطريقة تعريف المسند، وهو قصر جنس المفلحين على جنس الذين وقوا شح أنفسهم، وهو قصر ادعائي للمبالغة في تحقق وصف المفلحين الذين وقوا شح أنفسهم نزل الآن فلاح غيرهم بمنزلة العدم(٥٠) ، وهو فعل كلامي تأكيدي غير صريح (معنوي) بصيغة مركبة وهي الحصر(٥١) .

وفي ضوء مقامات التلقي نرى أن ذيل الآية جاء بعبارات وسمات تركيبة خاصة ، ومن تلك المقامات مقام حالة التعظيم في ذكر المفلحين مسبوقة باسم الإشارة ، ومقام تعريف المسند إليه بـ(ال) ما يتفق وحال إفادة كمال الوصف ، وهو أسلوب درج الخطاب القرآني على استعماله في أكثر من مقام(٥٢) ، واسم الإشارة هو بمثابة عنصر إشاري حدد به الجماعة المقصودة بالخطاب ، وهذه العناصر الإشارية بوساطتها يترسخ الملفوظ في مقام التلفظ ، كما تساعد على تحديد مقام المحادثة ، وجملة" فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ملفوظ تقريري وصفي ، قوته تتمثل في إثبات الفلاح إلى الذين وقاهم الله الشح .

وقوله سبحانه " وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " (النساء ٢٨) ، فسبب نزول الآية الكريمة في المرأة تكون عند الرجل ويرغب عنها و يريد فراقها ، ولعلها تكون لها صحبة وولد ، فيكره فراقها ، وتقول له : لا تطلقني وأمسكني وأنت حلٌ مني من شأني ، واقسم لي ما بدا لك (٥٣) .

وإنما اعتبر خوف النشوز و الإعراض دون نفس تحققهما؛ لأن الصلح يتحقق موضوعه من حين تحقق العلامات و الآثار المعقبة للخوف، و السياق يدل على أن

المراد بالصلح عن طريق غض المرأة عن بعض حقوقها في الزوجية، أو جميعها ؛لجلب الأنس و الألفة و الموافقة، و التحفظ عن وقوع المفارقة ، و قوله "و أحضرت الأنفس الشح" فبما أن الشح من الغرائز النفسانية التي جبلها الله عليها لتحفظ به منافعها، و تصونها عن الضيعة، فما لكل نفس من الشح هو حاضر عندها، فالمرأة تبخل بما لها من الحقوق في الزوجية كالكسوة و النفقة و الفراش و الوقاع، و الرجل يبخل بالموافقة و الميل إذا أحب المفارقة، و كره المعاشرة، و لا جناح عليهما حينئذ أن يصلحا ما بينهما بإغماض أحدهما أو كليهما عن بعض حقوقه، ثم قال تعالى: "وإن تحسنوا و تتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا" و هو موعظة للرجال أن لا يتعدوا طريق الإحسان و التقوى و ليتذكروا أن الله خبير بما يعملونه، و لا يحيفوا في المعاشرة، و لا يكرهوهن على إلغاء حقوقهن الحقة و إن كان لهن ذلك ، فهي دعوة للصلح ، ودلالة الشح في الآية على حرص النفس على الحقوق وقلة التسامح فيها، ومنه المشاحة، وعكسه السماحة في الأمرين(٥٤)، فيجوز أن يكون المراد بالصلح في هذه الآية صلح المال، وهو الفدية، فالشح هو شح المال، وتعقيب قوله "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" بقوله "وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ" على هذا الوجه بمنزلة قولهم بعد الأمر بما فيه مصلحة في موعظة أو نحوها: وما أخالك تفعل، لقصد التحريض، ويجوز أن يكون المراد من الشح ما جبلت عليه النفوس: من المشاحة، وعدم التساهل، وصعوبة الشكائم، فيكون المراد من الصلح صلح المال وغيره، فالمقصود من تعقيبه به تحذير الناس من أن يكونوا متلبسين بهذه المشاحة الحائلة دون المصالحة(٥٥)، و قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) "وَأُحْضِرَتِ الأنفس الشُّحَّ" هذا من باب المبالغة جعل الشح كأنه شيء معدّ في مكان، وأحضرت الأنفس وسيقت إليه ، ولم يأت ، وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقاً إلى الأنفس ، بل الأنفس سيقت إليه لكون الشح محبولاً عليه الإنسان ، ومركوزاً في طبيعته"(٥٦) .

نلحظ أن معنى الشح في هذه الآية قد ذهب بثلاثة اتجاهات :

الأول : الشح بالمال من قبل الرجل ، وعدم دفع الواجب والمستحق عليه من التزامات الشارع المقدس تجاه زوجه، في حال فارقها كالنفقة ومؤخر الصداق وغيرها .

الثاني : ويمكن أن يكون المراد بالشح شح الأنفس وتعنتها ، وصعوبة مراسها في الإصرار على حقوقها ، وعدم التسامح والتساهل الذي تقتضيه حالات الصلح ، وهو شح غريزي .

الثالث : شح الرجل بنفسه عن زوجه ، ونشوزها منها بالصحبة والمعاشرة ،وغيرها .

ونلحظ أيضا أن المعنى الأول هو المعنى القضوي الصريح والذي دلت عليه انجازاته والصوتية والدلالية والتركيبية ، والمعنى الثاني معنى ضمني أو سياقي تولد من الطبقة المقامية التي أنجزت فيها الجملة وهو معنى أنتج عن طريقة مقامية خاصة والذي سماه (غرايس)الاستلزام الحواري[٥٧] ،وبذلك عممت الدلالة لتشمل شح الأموال وشح التعامل .

وبني الفعل للمجهول (وَأُحْضِرَتِ) ، وهو فعل انجازي قوته الإنجازية من نسبة فعل الإحضار للقائل وهو الله سبحانه وجملة" وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ " جملة اعتراضية ،ويراد بالجمل الاعتراضية أغراض كثيرة أهما التوكيد [٥٨] ، وللجملة المعترضة وظائف مركزة أهمها دعم القضية المعروضة أو نقض القضية المطروحة ، وهو دور حجاجي في سياقات النص القرآني ليجعل من النص القرآني نصا متساوقا متلاحما ، وبذلك فله دور تداولي قوته من تثبيت الحمل السابق له ، وهذه النظرة للجملة المعترضة تختلف عن النظرة القديمة للجملة المعترضة على أساس أنها حشو أو أنها أجنبية عن السياق ولا محل لها من الإعراب[٥٩] ، لكن هذه النظرة القديمة كانت بلحاظ طرفي الإسناد، فالجملة الإعتراضية لا محل لها من الإســـناد ، أما دورها

الدلالي فقد أشره علماء المعاني بوصفه شكلا من أشكال الإطناب وبينوا الدور الدلالي للجملة المعترضة[٦٠] .

والفعل "حَضَر" يتعدى إلى مفعول، واكتسب بالهمزة مفعولاً ثانياً، فلمَّا بُني للمفعول قامَ أحدُهما مقامَ الفاعل فانتصبَ الآخرُ، والقائمُ مقامَ الفاعلِ هنا يَحْتمل وجهين المشهور بين النحاة أنه الأول وهو "الأنفس" فإنه الفاعل في الأصل، إذ الأصل: "حضرت الأنفسُ الشحَّ" والثاني: أنه المفعول الثاني، والأصل: وحضر الشحُّ الأنفسَ، ثم أحضر اللَّهُ الشحَّ الأنفسَ، فلما بُني الفعل للمفعول أُقيم الثاني - وهو الأنفسُ- مقامَ الفاعل، فأُخِّر الأول وبقي منصوباً، وعلى هذا يجوز أن يقال: "أُعْطِي درهمٌ زيداً" و"كُسِي جبةً عمراً" والعكس هو المشهورُ كما تقدَّم، وكلامُ الزمخشري يَحْتمل كونَ الثاني هو القائمَ مقامَ الفاعلِ فإنه قال: "ومعنى إحضارِ الأنفس الشحَّ أنَّ جُعِل حاضراً لها لا يَغيب عنها أبداً ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعةٌ عليه، فأُسْنِدَ الحضورُ إلى الشح كما يبدو ، ويحتمل أنه جَعَله من باب القلب فنسَب الحضورَ إلى الشحِّ وهو في الحقيقة منسوب إلى الأنفس"[٦١] .

ووردت لفظة " الشح " في القرآن الكريم بصيغة الجمع في موضع واحد ، وهو قوله تعالى: " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " (الاحزاب١٨ - ١٩)، وقومٍ أَشِحَّةٍ وأَشِحَّاء وشِحَاح على أَفْعِلَةٌ وأَفْعِلاءُ ، إنما يَغْلِبانِ على فَعِيل اسماً ، كأَرْبِعَةٍ وأَرْبِعاءَ وأَخْمِسة ، وأَخْمِساءَ ، ولكنه قد جاء من الصفة هذا ونحوه[٦٢] ، و أشحة فعل كلام إنجازي لإنشاء الذم من هؤلاء ، وقوله تعالى:" سلقوكم" أي خاطبوكم أشدَّ مخاطبةٍ وهم أَشِحَّةُ على المال والغنيمة ، وقال

الأزهري" نزلت في قوم من المنافقين كانوا يؤذون المسلمين بألسنتهم في الأمر ويَعُوقُونَ عند القتال ويَشِحُّون عند الإنفاق على فقراء المسلمين"[٦٣] والشح: البخل بما في الوسع مما ينفع الغير، وأصله: عدم بذل المال، واستعمل مجازا في هذه الآية في منع المقدور من النصر أو الإعانة ، والْمُعَوِّقِونَ المثبطون عن رسول الله (ﷺ) وهم المنافقون : كانوا يقولون لإِخْوانِهِمْ من ساكني المدينة من أنصار رسول الله (ﷺ) : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحماً لألتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، فخلوهم و هَلُمَّ إِلَيْنَا (أي قربوا أنفسكم إلينا) [٦٤] وهم أشحة على الخير أي بخلاء حريصون على مال الغنائم على ما روى عن قتادة وقيل : على ما لهم الذي ينفقونه وقال الجبائي : أي بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير وذهب أبو حيان إلى عموم الخير[٦٥] .

وقوله تعالى: " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ " استئناف بياني ناشئ عن قوله: "مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ" (الأحزاب ١٧)؛ لأن ذلك يثير سؤالا يهجس في نفوسهم أنهم يخفون مقاصدهم عن رسول الله (ﷺ) فلا يشعر بمرادهم من الاستئذان، فأمر أن يقول لهم: "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ" فالله ينبئ رسوله بكم بأن فعل أولئك تعويق للمؤمنين، وقد جعل هذا الاستئناف تخلصا لذكر فريق آخر من المعوقين.

و "قَدْ"تفيد التحقيق؛ لأنهم لنفاقهم ومرض قلوبهم يشكون في لازم هذا الخبر وهو إنباء الله رسوله عليه الصلاة والسلام بهم، أو لأنهم لجهلهم الناشئ عن الكفر يظنون أن الله لا يعلم خفايا القلوب[٦٦] ،و(يعلم) فعل انجازي من أفعال الإثبات حسب (سورل)،والتي تلزم المتكلم بصدق القضية المتكلم عنها وجاء مؤكدا بـ (قد)قصد تثبيت المعنى وهو حدث كلامى تمثيلي (asertif/representative) حسب (سورل) أيضا ، وهو ما يدل علي الإخبار ويربط قائله علي صدق قوله، وهذا إما بالإعلام أو الإخبار و التبيين و الذمر و الإشارة أو الاسترشاد أو التأكيد

، ودخول "قد" على المضارع لا يخرجها عن معنى التحقيق عند المحققين من أهل العربية، وأن ما توهموه من التقليل إنما دل عليه المقام في بعض المواضع لا من دلالة "قَدْ" ، ومثله إفادة التكثير، وتقدم ذلك عند قوله تعالى: "قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ" (البقرة ١٤٤)، وقوله تعالى: "قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ" (النور٦٤)، والمعوق: اسم فاعل من عوَّق الدال على شدة حصول العوق. يقال: عاقه عن كذا، إذا منعه وثبطه عن شيء، فالتضعيف فيه للشدة والتكثير مثل: قطَّع الحبل[٦٧] ، وقد وما دخلت عليه فعل انجازي (فعل التوكيد) قوته الإنجازية في تأكيد علم الله بهؤلاء المعوقين ، وهو فعل تأكيد غير صريح (معنوي) من صيغة مركبة (قد) وما دخلت عليه[٦٨] ،و(لا يأتون) فعل انجازي، و قوته الإنجازية في نفي صفة الزحف لهؤلاء المنافقين ، وهو من الأفعال الإثباتية ، وهو ملفوظ وصفي جاء تأكيدا للملفوظ الذي قبله (المعوقون) تأكيد المعنى في ذهن المتلقي بأن هؤلاء القوم يعوقون الناس عن المشاركة في الزحف ويثبطون عزيمتهم ، وهي القوة التأثيرية للفعل الإنجازي ، ويؤكد قلة مشاركتهم في القتال، والنفي من قوانين السلم الحجاجي الثلاثة ، يستعمله المتكلم ؛ ليخدم نتيجة معينة ، وهو مرتبط بأسلوب الحصر(لا ... إلا)، وهو أسلوب التوكيد بالقصر الذي يعد من الأساليب الحجاجية المهمة ، وهو عمل لغوي كلامي يأتيه المتكلم ، فيجعل عمل الخصم الكلامي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له ، كما يدفع المتلقب بالسياقات الفهمية التي يريدها، وكذلك فهذا الأسلوب من العوامل الحجاجية حسب (ديكرو وانسكومبر) ؛ لأنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما[٦٩] ، و(أشحة) حال من الواو في (يأتون) وهي ذيل توضيحي حسب(سيمون ديك) ،وقوله تعالى: " يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ" ملفوظ تقريري لحالتهم عند الزحف ، وتمثيلها كحال الذي يتغشاه الموت ، وأسلوب التمثيل من الأساليب، والآليات الحجاجية المهمة وهو عقد الصلة بين صورتين ؛ ليتمكن

المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه[٧٠] ، ويرى بيرلمان بأن له قيمة حجاجية كبرى تعلو على مفهوم المشابهة المستهلك ؛ لأن التمثيل لا يتم فيه الرجوع إلى المشبه والبحث عن علاقة خاصة بينهما ، وإنما اتخاذ نموذج فعلي خيالي يكون مرجعا لعملية الإسناد[٧١] ، وكذا فإن تفخيم المعنى بالتمثيل ، "ينبُلَه ويَشرُفَه ويكمله، فأوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر ، هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع ، وينفي الرَّيْب والشكَّ، ويُؤْمِن صاحبه من تكذيب المخالف، وتهجُّم المنكر، وتَهَكُّم المعترض، وموازنتُه بحالة كَشْف الحجاب عن الموصوف المُخبَرِ عنه حتى يُرَى ويُبصرَ، ويُعلَم كونهُ على ما أثبتته الصِّفة عليه موازنةٌ ظاهرة صحيحة"[٧٢] ، وأداة التشبيه الكاف تفيد قرب المشبه به من المشبه ، ولكنها لا تفيد المبالغة فالمشبه ظل مستقلا بذاته عن المشبه به ، وظلت الكاف حاجزا نفسيا وشكليا ونفسيا بين طرفي التشبيه ، تقرب بينهما ولا تبالغ في العلاقة بين الأطراف[٧٣] .

وقوله تعالى:" فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ " فعل انجازي من أفعال الوعيد ، وقوته الإنجازية في إلزام المتكلم بنسف أعمال هؤلاء القوم وإحباطها، وهو نتيجة للسبب المتقدم وهو قوله تعالى: " أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا "، والسببية من العلاقات الحجاجية المهمة التي يعمد فيها المتكلم فضلا عن طرح فكرته إلى عرض جملة من الأسباب وربطها بالنتائج ، واستعمال أداة العطف الفاء ،التي تربط بين وحدتين دلاليتين(أو أكثر) في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية ، واستعمال أداة العطف الفاء التي تدل على العطف والتعقيب بلا مهلة[٧٤] ، إشارة إلى أن الوعيد سيتحقق مباشرة دون مهلة ، وهي رابط حجاجي بين الوعيد وبين

سبب الوعيد الذي هو الفعل الإنجازي الذي سبقه (لم يؤمنوا) ، وقوله تعالى: " وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا" تذييل، جاء بشكل ملفوظ تقريري ، وقوته الإلزامية تكمن في تأكيد التهديد ، وهو عدول بالزيادة على المعنى السابق له .

نلحظ أن الخطاب القرآني عندما أراد يسوق الإخباري حول معرفته بالمعوقين ، لكن الإخبار أنجز فعلا آخر وهو الوعيد لهؤلاء ، بعد تشبيههم ، وسوقه بعض السمات الحجاجية ، منها تأكيده على معرفته بهم ، وتأكيد كذبهم وزيفهم ، وبعد ذلك كانت تلك المقدمات حجج لنتيجة نهائية وهي إحباط أعمالهم .

ثالثا / القتر :

وهي من الألفاظ التي دلت على البخل في القرآن الكريم ، في آيتين كريمتين ،والقاف والتاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على "تجميعٍ وتضييقٍ، من ذلك القُتْرة: بيت الصَّائد؛ وسمِّي قُترةً لضيقِه وتجمُّع الصَّائد فيه؛ والجمع قُتَر، والإقْتار: التَّضييق، يقال: قَتَرَ الرجلُ على أهله يَقتُر، وأقْتَر وقَتَّر"(٧٥) ، نلحظ تطور معنى القتر من التضييق المادي الملموس إلى التضييق المعنوي في الإنفاق ، قال تعالى" قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا "(الإسراء ١٠٠) قل - أيها الرسول- لهؤلاء المشركين : لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد إذًا لبخلتم بها، فلم تعطوا منها غيركم ؛ خوفًا من نفادها فتصبحوا فقراء، ومن شأن الإنسان أنه بخيل بما في يده إلا مَن عصم الله بالإيمان ، واستعمال الروابط الحجاجية (لو – إذا) لما لها من قيمة لسانية محضة ، وبمساعدة السياق الذي وردت فيه تؤدي إلى التضييق في الطاقة الحجاجية وتحديد النتيجة تحديدا صارما ، يتناسب وطبيعة الملفوظ والمعطيات الحافة به ، من ظروف وأعراف تؤكد حرص الإنسان وكون الشح غريزة طبيعية متجذرة في نفسه ، وبالنظر لنظرية المواضع المشتركة والتي تفترض وجود أعراف وقيم متواضع عليها سلفا بين الباث والمتقبل في مخيال جمعي

عام مشترك[٧٦] ، ففرضية امتلاكهم خزائن الأرض تؤدي إلى نتيجة حتمية وهي منعه للإنفاق وإمساكهم عن الواجبات ؛ لما لذلك من حقيقية متعارف عليها وهي كون الإنسان مضيقا في الإنفاق ، وهو إنجاز لفظي ظاهري مكتمل ظهر فيه السبب والنتيجة والرابط الحجاجي ، ولفظة (خشية الإنفاق) مفعول لأجله، والمفعول لأجله من الأدوات الحجاجية التي يستعملها المتكلم في عملية الخطاب، وهو من ألفاظ التعليل مهما يكن وجه وروده في الخطاب بوصفه المصدر الذي يدل على سبب ما قبله ، أي علته فعلة الإمساك عن الإنفاق والقتر هي الخوف من الإنفاق في ذاته ، وهنا تتجلى استلزامية المعنى البؤري للإنفاق فهو سبب ونتيجة في الوقت نفسه ، واستعمال أداة التوكيد اللام في " لَأَمْسَكْتُمْ" وهو فعل توكيد إنجازي وقوته الإنجازية في تأكيد فعل الإمساك ، والامتناع عن الإنفاق وتأكيد امتناع الجواب لامتناع الشرط الذي هو امتلاكهم لخزائن الأرض وهذا ما أفادته "لو" ، وجملة "وَكَانَ الإنسان قَتُوراً" حالية أو اعتراضية في آخر الكلام، وهي تفيد تذييلا لأنها عامة الحكم، فالواو فيها ليست عاطفة ، وهو تذييل جاء بملفوظ وصفي إثباتي ، واستعمال صيغة المبالغة (قتور) على وزن فعول ، فالأوزان الصرفية-كاسم الفاعل مثلا- تتفاضل فيما بينها في السلم الحجاجي ، فيدرك المخاطب ذلك التفاضل بحكم تكوينه اللغوي ومهاراته التداولية ، فهو يعبر من خلالها عن درجة الحجة التي يريدها في خطابه .

وجاءت لفظة القتر في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا " (الفرقان ٦٧) ، فالمعنى أنهم يضعون النفقات مواضعها الصالحة ، كما أمرهم الله فيدوم إنفاقهم، وقد رغب الإسلام في العمل الذي يدوم عليه صاحبه، وليسير نظام الجماعة على كفاية دون تعريضه للتعطيل فإن الإسراف من شأنه استنفاد المال فلا يدوم الإنفاق، وأما الإقتار فمن شأنه إمساك المال فيحرم من يستأهله.

وجاءت اللفظة كفعل انجازي ضمن سلسلة من الأفعال الإنجازيـــة الوصفية ،

(أنفقوا – لم يسرفوا – لم يقتروا) وقوتها الإنجازية في إثبات بعض الصفات لهؤلاء ونفي بعضها عنهم ، والأفعال جاءت في سياق وصف المؤمنين ابتدأها سبحانه بقوله: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "(الفرقان ٦٢) في سلسلة من الأفعال التقريرية الوصفية ، ابتدأها برابط حجاجي وهو (إذا) التي هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط الذي ربط بين فعلين إنجازيين (أنفقوا) وبين (لم يسرفوا – لم يقتروا) ليصل إلى المعنى المرجو (وكان بين ذلك قواما) والتفصيل ، وتقسيم الكل من الأدوات البلاغية المهمة في العملية التداولية ، فهؤلاء عندما ينفقون في سبيل الله ابتعدوا ونفى عنهم صفتين سيئتين وهما (الإسراف والإقتار) وكان حالهم المثالي هو الموازنة بين الإسراف ، والإقتار والقوامة بينهما، ففعل الشرط (أنفقوا) وجوابه (لم ينفقوا – لم يقتروا) ، وجملة (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) النتيجة المثلى التي يجب أن يكون حال الإنفاق ، فتتدرج الخطاب من عرض فكرة الإنفاق ، ثم عرض المظاهر السيئة لعملية الإنفاق ، وصولا وتدرجا في عملية الخطاب إلى الصيغة المثلى في عملية الإنفاق .

رابعا / الغل :

وهو من الكنايات التي وردت في القران الكريم ، التي جاءت بمعنى البخل ، والغل في القران على خمسة أوجه :الأغلال :الشدائد ، والغَلّ: الإمساك ، الأغلال : من الحديد ، الأغلال : الخيانة ، والغِلّ البغض والحسد(٧٧).

ويبدو لي أن معنى الإمساك في الإنفاق تطور من معنى الأغلال التي توضع في الأيدي ، التي تمنعها من الحركة ، و الأَيدي المَغْلولة أَي ممنوعة مجعول فيها غُلّ وهو الحديدة التي تجمع يد الأَسير إِلى عُنقه ويقال لها: جامِعَة ، ووردت اللفظة في آيتين في قوله تعالى: " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا" (الإسراء ٢٩) وقوله: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ

كَيْفَ يَشَاءُ "(المائدة ٦٤) .

ومعنى : "وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ" الوصف بالبخل في العطاء ؛لأن العرب يجعلون العطاء معبرا عنه باليد، ويجعلون بسط اليد استعارة للبذل والكرم، ويجعلون ضد البسط استعارة للبخل فيقولون:أمسك يده وقبض يده، ولم نسمع منهم:غل يده، إلا في القرآن كما هنا، وهي استعارة قوية لأن مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقل الأزمان، فلا جرم أن تكون استعارة لأشد البخل والشح[٧٨] ، واستعمال الاسم بدلا من الفعل لما في الاسم من ميزات غير موجودة في الأفعال ، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في باب الفصل بين النعت والاسم: " النعت يؤخذ عن الفعل نحو: " قامَ فهو قائم " وهذا الَّذي يسمّيه بعض النحويين الدائمَ وبعض يسميه اسمَ الفاعل، وتكون لَهُ رتبة زائدة عَلَى الفاعل، قال الله جلّ ثناؤه: " ولا تجعلْ يدَكَ مَغلولة إِلَى عُنُقِكَ " ولَمْ يقل: لا تغلَّ يدك، وذلك أن النعت ألزَمُ، ألا ترى أنا نقول: " وعصى آدم ربَّه فغوى " ولا نقول: آدمُ عاصٍ غاوٍ، لأن النعوت لازمة وآدم وإن كَانَ عصى فِي شيء فإنه لَم يكن شأنه العصيان فيُسمى بِه، فقوله جلّ ثناؤه: " لا تجعل يدَكَ مغلولة " أي لا تكونَنّ عادَتُك فتكون يدك مغلولةً "[٧٩] ، ويريد الله سبحانه أن يتحدّث عن شديد الْبُخْل ، الّذي لا يستطيع أن يمدّ يَدَهُ بعطاء، فيكنّي بعبارة: "مَغْلُول الْيَدِ إلى العُنق" ؛ لأنّ من كانت يده مغلولة إلى عنقه كان غير قادر على أن يبسطها ، لو أراد بسطها ويعطي بها أو يأخُذ، وكذلك الشحيح الذي يكون بُخْلُهُ شديداً، تكون حالة يدِهِ الّتي يعطي بها عادة مع شُحّ نفسه، كحالة مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ إلى عُنُقِه، وهذا التعبير اشتمل على مَزْج الكناية بتشبيه ضِمْنِيّ، وتقديم ذلك بعبارة جميلة بديعة تدلُّ على المقصود بطريقة غير مباشرة، وفي مقابل هذه الكناية تأتي بسط اليّد للدّلاَلة بها على الجود، وتأتي كناية الإفراط في البسط للدّلالة بها على الإسراف ، وقوله: " محسورا" نتيجة للنهي المتقدم ، و الْمَحْسُور: المنهوكُ القوى،

والّذي لم يَبْقَ معه مالٌ من كثرة الإنفاق، يقال لُغةً: حَسَر القوم فلاناً، إذا سألوه فأعطاهم حتى لم يَبْقَ معه شيء، جاء اللَّفُّ المفصَّل هنا في النّهي عن البخل وعن التبذير بعبارة "وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ".

وجاء النشر مرتَّباً على وفق ترتيب اللّف، وذلكَ لأنّ اللَّوْمَ يكون على البخل الذي جاء في العبارة أوّلاً، وإنْهاكَ الْقُوى وخُلُوَّ الْيَدِ من المال يكون بسبب التبذير .والأفعال (لا تجعل – لا تبسط) أفعال إنجازية من صنف الأفعال الأمريات(Les drectifs)حسب (سورل) وقوتها الإنجازية تكمن في نهي المخاطب عن فعلها .

وتعد الاستعارة من الأدوات الحجاجية المهمة ؛ كونها تعد من أسمى مظاهر البلاغة التي تستطيع أن ترقى إلى مستوى التصوير اللغوي والى مستوى إيصال المعنى بكيفية تتكاثف فيها سياقات وتجارب متعددة ، يقول "ريتشاردز" في كتابه فلسفة البلاغة:" إن العناصر اللازمة لاكتمال التجربة لا تكون دائما موجودة على نحو طبيعي ، ولذلك فان الاستعارة تخلق الفرصة لإدخال هذه العناصر خلسة "[٨٠] فالاستعارة تمتلك – بحسب ريتشاردز – إمكانية ضم عدد من التجارب والمعاني والسياقات المتعددة بطريقة لا تتضافر بالثراء نفسه في أنماط بلاغية أخر ، فهو يعطي لها القوة ، ويجعلها قادرة على الإيجاز وعلى تقديم عديد من المعاني بالقليل من الألفاظ [٨١].

ولو نظرنا إلى المعنى الأصلي للبخل والكناية التي جاء بها القران الكريم ، وبالنظر لمفهوم الادعاء عند عبد القاهر الجرجاني نرى ترجيح المعنى الثاني على الأول ، فغل اليدين ومنعهما من الحركة وتشبيه البخيل والشحيح بالمقيد السجين الذي حبسه شحه وأثر في نفسه وجعله يخالف أمر الله بالامتناع عن الإنفاق ، فالقيد نفسي ، قبل أن يكون ماديا وهو الحرص على الدنيا ، وعدم الاعتداد بأوامر الخالق، هذا المعنى الجديد الذي جاءت به الكنايات أبلغ من المعنى الصريح

الصوري ، فالاستعارة عند الجرجاني ، ليست حركة في الألفاظ ، بقدر كونها حركة في المعاني ، وهي ليست مدارا على معنى مأخوذ من اللفظ الأول بقدر أن ثمة معنى آخر تولد من خلالها ، وهكذا فالمقتضى المعنوي للادعاء : هو أن القول الإستعاري يستند إلى بنية استدلالية (٨٢)، وهذه الاستعارة في الآية استعارة انفعالية حسب جون كوهن ، فالخطاب القرآني ابتعد عن الاستعمال العادي ؛ ليضيف معنى على خطابه ، وهي تقنية حوارية تبرز أن النص نص حاذق استطاع أن يحول المعنى المباشر للفظ ويضفي عليه معاني أخر، مستوحاة من الأدوات المقالية التي يمتلكها اللفظ(٨٣).

وقوله سبحانه " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ" خطاب منقول(Discours raconte) نقل من خلاله خطاب اليهود وهو فعل كلام إنجازي ، وقوته الإنجازية تتمثل في تماديهم وتعنتهم بوصفهم الله سبحانه وتعالى ، بالبخل ، وجملة"غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ"معترضة بين جملة "وَقَالَتِ الْيَهُودُ" وبين جملة "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" وهي إنشاء سب لهم، وللجملة المعترضة دور في حصول الاتساق الدلالي داخل النص ، وحدوث التلاحم بين الجملة الاعتراضية والجمل التي تحويها ، ويؤثر في علاقة الخطاب القرآني بمتلقيه(٨٤) ، فقد ربطت الجملة الاعتراضية بين ما قبلها و هي قولهم بـ(الغل) ومن ثم جاءت بلفظ الدعاء بلفظ الغل ، وما بعدها ، كون ما بعدها أيضا دعاء باللعن ، وأخذ لهم من الغل المجازي مقابلة الغل الحقيقي في الدعاء على طريقة العرب في انتزاع الدعاء من لفظ سببه أو نحوه ، وهي أفعال كلام إنجازية من أفعال الوعيد تتمثل في قوله (غُلَّت – لُعنوا) وهذا العقاب الدنيوي الذي بينه الخطاب القرآني عبر أفعال الوعيد يتمثل في أنه عقاب دنيوي لهم ؛ نتيجة كذبهم على الله ووصفهم له بالأوصاف الباطلة ، وقوله: " بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" و"بل" من الأدوات الحجاجية المهمة في العربية وقوتها الحجاجية في هذه الآية تكمن في قطعها بخطأ الكلام السابق لها ، وهو ادعاء اليهود بان الله سبحانه وتعالى يده مغلولة وصحة الكلام اللاحق لها ، وهو كونه سبحانه يداه مبسوطتان ، وتكمن قوة "بل"

الحجاجية في هذه الآية في أن الخطاب رتب من خلالها الحجج في السلم الحجاجي بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة ، ومن دلالة سُلَّميتها أن المخاطِب قد يضرب عن الحجة الأدنى إلى الحجة الأعلى.

الخاتمة :

خرج البحث إلى نتائج أهمها :

١. إن تحليل النص القرآني ضمن مناهج لسانية محدثة أمر في غاية الأهمية ، فهو من جهة يدل على شمولية هذه المناهج في ضوء تشابه الفعل اللساني الإنساني وإتحاده، ومن جهة أخرى يدل على شمولية النص الكريم لكل اللغات والمناهج العالمية ، وقدرته على مجاراة التطور اللساني في المناهج العلمية الرصينة ، فهو نص لكل البشرية بكل لغاتهم وألوانهم وأماكن سكناهم .

٢. تعنى التداولية المدمجة أساسا بالمستويين اللغوي والبلاغي ، إذ تحلل في الأول دور الوحدات التركيبية ، من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف ... في المؤثرات المعنوية والدلالية ، في حين تحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها ، وما بينهما من علاقات ، وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك .

٣. تهتم التداولية المدمجة بدمج الدلالة بالتحليل التداولي القائم على عناصر التداولية الأربعة ، والاستعانة بالحجاج اللغوي (آليات الحجاج)إذ تحلل في الأول دور الوحدات التركيبية ، من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف وغيرها ، في المؤثرات المعنوية والدلالية ، في تحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها ، وما بينهما من علاقات ، وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك .

٤. تقدم التداوليات المدمجة بوصفها نظرية دلالية لا صدقية مجموعة من الإرشادات:

أ. حول التطورات الممكنة التي يمكن أن تفضي إليها عملية قول الجملة ، وكذا التطورات الممتنة .

ب. حول الطاقات الحجاجية لعملية القول .

ت. حول وجهات نظر القائلين المعبر عنها في الجمل .

٥. تهدف التداولية المدمجة إلى الدفاع عن أطروحتين أساسيتين :

الأولى : الدفاع عن تصور لا وصفي للغة ، مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (الوظيفة التمثيلية) بل تبلغ أعمالا لغوية من قبيل (الأمر والنهي والتمني والإخبار والحجاج) ،الثانية : أطروحة الإحالة الانعكاسية ، وتتلخص في أن معنى قول ما صورة من عملية إلقائه ، وبؤرة فهم قول ما هي فهم دواعي إلقائه ، ويكون معنى لقول متمثلا في النمط الذي سيق لإنجازه.

٦. تؤدي إستراتيجية التحليل البنيوي للتداولية المدمجة إلى إجراء تفريق أساسي بين

أ. الجملة والدلالة : دلالة الجملة موضوع التداولية المدمجة ، وتحدد الجملة بعدها وحدة مجردة يولدها المكون اللغوي ، وتشتق دلالتها من القواعد اللغوية فحسب ، انطلاقا من التعليمات المرتبطة بمكونات الجملة ، ولا ترتبط دلالتها بمبدأ الصدق أو قواعد التأليف ، وإنما بالقرائن الحجاجية

ب. القول والمعنى : إن دلالة الجملة حصيلة بناء نظري غي مرئي ، أما المرئي فهو المعنى المرتبط بالقول ، وإذا كان القول حصيلة إلقائه فإنه لا يمثل معطى ملموسا .

٧. عمد الخطاب القرآني إلى دمج دلالة الألفاظ بالقوة الإنجازية لها، وربط الخطاب بمجموعة من الروابط والعوامل ؛ بغية تقوية المعنى والحث على

صفة غاية في الأهمية وهي الإنفاق ، وتجنب صفة ذميمة وهي الإمساك وما تؤديه من خسارة في الدنيا والآخرة .

٨. خرج معنى الشح في الخطاب القرآني إلى ثلاثة معان :

منها الشح بالمال من قبل الرجل على أهله، أو الشح شح الأنفس وتعنتها ، وهو شح غريزي ،أو شح الرجل بنفسه عن زوجه ، ونشوزها منها بالصحبة والمعاشرة وغيرها ، ونلحظ أن المعنى الأول هو المعنى القضوي الصريح والذي دلت عليه انجازاته والصوتية والدلالية والتركيبية ، والمعنى الثاني معنى ضمني أو سياقي تولد من الطبقة المقامية التي أنجزت فيها الجملة ، وهو معنى أنتج عن طريقة مقامية خاصة الاستلزام الحواري ،وبذلك عممت الدلالة لتشمل شح الأموال وشح التعامل .

٩. تدرج الخطاب من عرض فكرة الإنفاق ، ثم عرض المظاهر السيئة لعملية الإنفاق وصولا وتدرجا في عملية الخطاب إلى الصيغة المثلى في عملية الإنفاق وهي عدم الاقتار .

Abstract

The theory of deliberative compact task and advanced loop of the lesson deliberative workshops, Vtad an extension of the work (Bnafist), and the school of analytical, we find the foundation clearest of this theory in the work (Dkro, and Anskimber); because the conclusion of the acts of speech theory will form the basis of its work in the construction of theoretical orbital . The compact Altdaulyat theory to cancel the idea of separation between language levels (installation, significance, trading) proposed by Morris that, and supports the idea of merging the three components in each during discourse analysis, compact Valtdolah bother linguistic Levels and rhetoric, which analyzes in the first role of the structural units, linking tools delete and confirm the kindness and others in the effects of the moral and semantic, and analyzed in a second relationship

significance and foremost, human elements, etc., and their relationships, and also the effects of contexts outside of the text in all of this, and adopted in a research this on the important Koranic text analysis which verses of avarice, came out research to results figured it important.

هوامش البحث

(١) ينظر القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلار ، آن روبول ، ترجمة مجموعة من الباحثين ١/ ٣٥ .

(٢) ينظر بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل / ٩٦ .

(٣) ينظر فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين ، جمال حمود / ٣٠٧.

(٤) ينظرالحجاجيات اللسانية عند ديكرو ، الرشيد الراضي، عالم الفكر ، العدد ١، مج ٣٤ ، ٨/ ٢٠٠٥. / ٢١٦.

(٥) نفسه / الصفحة نفسها

(٦) بلاغة الإقناع في المناظرة / ٩٧.

(٧) ينظر فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين / ٥٠ .

(٨) ينظر القاموس الموسوعي في التداولية ١/ ٩٠- ٩٢.

(٩) ينظر نفسه / ٦٣ .

(١٠) ينظرالحجاجيات اللسانية عند ديكرو / ٢٢٦- ٢٢٧.

(١١) ينظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن / ٦٦

(١٢) ينظر الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، حسين بوبلوطة / ٦٢ .

(١٣) ينظر منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، معاذ الدخيل / ٥٤ .

(١٤) ينظر النظرية الحجاجية محمد طروس / ١٠٦ – ١٠٧ ، نقلا عن الحجاج في الإمتاع والمؤانسة / ٦٠

(١٥) ينظر الحجاج في الإمتاع والمؤانسة / ٦١ .

(١٦) ينظر القاموس الموسوعي في التداولية ١/ ٨٤- ٨٥ .

(١٧) الحجاج في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم الطبلة / ١٩٣ - ١٩٤ .

(١٨) ينظر تهذيب اللغة ، الأزهري(ت٣٧٠ هـ) تحقيق محمد عوض مرعب ٩/ ١٩١.

(١٩) ينظر السنن الكبرى للبهيقي طبعة الهند ٦ / ٩٩

[٢٠]) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ٢٧٥/١ .
[٢١]) ينظر البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني/ ٦٠ .
[٢٢]) ينظر الحجاج في اللغة ، أبو بكر العزاوي ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته/٦٥ .
[٢٣]) ينظر مجالس ثعلب ١ / ٧٥ .
[٢٤]) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ٣ / ١٣٣ . .
[٢٥]) ينظر التداولية عند العرب (صحراوي) / ٢١٥. .
[٢٦]) ينظر اللسانيات الوظيفية ، د. أحمد المتوكل / ٢٤ .
[٢٧]) ينظر التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ٤/ ٥٢ .
[٢٨]) نفسه ٤/ ٤٨ .
[٢٩]) ينظر تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين أجعيط /٧٠ .
[٣٠]) البحر المحيط ٣ : ١٩٩ . .
[٣١]) ينظر التداوليات علم استعمال اللغة / ٩٢ . .
[٣٢])فتح القدير ، الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) / ٢٩٨ – ٢٩٩ .
[٣٣]) ينظر التداوليات / ١١٠ .
[٣٤]) ينظر تداوليات الخطاب السياسي / ٧١.
[٣٥]) ينظر التداولية من أوستين إلى غوفمان / ٦٢.
[٣٦]) ينظر لسان العرب (عتد) ٣/ ٢٧٥.
[٣٧]) ينظر معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ٣/ ١٧٨.
[٣٨]) ينظر لسان العرب (شحح) ٢/ ٤٩٥.
[٣٩]) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري / ٧٨ .
[٤٠]) الكليات ، أبو البقاء الكفومي / ٢٤٢ .
[٤١]) ينظر الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد/ ١٩٠ .
[٤٢]) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٣/ ٦٨ .
[٤٣]) ينظر التحرير والتنوير ٢٨ / ٩٥ .
[٤٤]) ينظر أسباب نزول القرآن ، الواحدي/ ٤٤٥ .
[٤٥]) نفسه / ٤٤٥ _ ٤٤٦ .

[٤٦]) ينظر التداوليات / ٩٦ .
[٤٧]) أسباب نزول القرآن ، الواحدي /٤٦٢ .
[٤٨]) ينظر التحرير والتنوير٨/ ٢٨٧.
[٤٩]) البحر المديد، أحمد أبو العباس الإدريسي الشاذلي ٨/ ٦١.
[٥٠]) ينظر التحرير والتنوير٨/ ٢٨٩.
[٥١]) ينظر التداولية عند العرب / ٢١١.
[٥٢]) ينظر المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية ، منال النجار ، التداوليات / ٥٦٥.
[٥٣]) ينظر أسباب النزول/ ١٧٧.
[٥٤]) ينظر الميزان في تفسير القرآن ٥/ ٩٨ - ٩٩.
[٥٥]) ينظر التحرير والتنوير ٥ / ٢١٧.
[٥٦]) البحر المحيط ٣ / ٣٩٥.
[٥٧]) ينظر الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو ، يحيى بعيطيش /١١٠ ، اللسانيات الوظيفية / ٢٦.
[٥٨]) ينظر البرهان في علوم القران ، الزركشي ٣/ ٥٦
[٥٩]) ينظر البعد التداولي في الخطاب القرآني (بني إسرائيل) / ١٨٢.
[٦٠]) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي / ٨٩ .
[٦١]) الكشاف ٢ / ١٥٧ .
[٦٢]) ينظر كتاب سيبويه ٣/ ٦٣٤ .
[٦٣]) لسان العرب (شحح) ٢/ ٤٩٥ .
[٦٤]) ينظر الكشف والبيان ٨/ ٢١ .
[٦٥])ينظر البحر المحيط ٧/ ٢١٥ .
[٦٦]) نفسه/ الصفحة نفسها .
[٦٧]) ينظر التحرير والتنوير٢١ / ٢٩٤ .
[٦٨]) ينظر التداولية عند العرب / ٢١١.
[٦٩]) ينظر الحجاج في اللغة / ٦٤.
[٧٠]) ينظر آليات الحجاج وأدواته ،عبد الهادي الشهري ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته / ١٣٦.

[٧١]) ينظر إستراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ، دليلة قسيمة /١٥٣.
[٧٢]) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني / ١١٧ .
[٧٣]) ينظر المقومات البلاغية دراسة مقامية براغماتية / ٥٧٤
[٧٤]) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي / ٦١
[٧٥]) معجم مقاييس اللغة٥/ ٥٥ .
[٧٦]) ينظر العامل الحجاجي والموضع /ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، عز الدين الناجح / ٢٩٢ .
[٧٧]) ينظر إصلاح الوجوه والنظائر في القران الكريم ، الدامغاني / ٣٤٢ .
[٧٨]) ينظر التحرير والتنوير ٦ / ٢٤٩- ٢٥٠.
[٧٩]) الصاحبي في فقه اللغة / ٢٦٤ – ٢٦٥ .
[٨٠]) عن البلاغة والاستعارة من خلال فلسفة البلاغة ، د. سعاد أنقار/ ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٤٦٧ .
[٨١]) ينظر نفسه / الصفحة نفسها .
[٨٢]) ينظر حجاجية المجاز والاستعارة ، د. حسن المودن ، ضمن الحجاج مفهومه ودلالاته ٤/ ٧٢٥ .
[٨٣]) ينظر التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة ، شاييم بيرلمان ، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ٥/ ٣٧٨ .
[٨٤]) ينظر الحجاج في القرآن / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية ، سامية بن يامنة ، مجلة دراسات أدبية العدد الأول ٢٠٠٨
- أسباب نزول القران،أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)تحقيق السيد أحمد صقر،ط١ ، ١٩٦٩م.
- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د. رضوان الرقبي ، عالم الفكر مج ٤٠ ، العدد ٢.
- استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ، دليلة قسيمة ، رسالة ماجستير ، جامعة الحج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠١١ .

- أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة،ط١ (١٩٩١م).
- الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، د. ادريس مقبول ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠٠٧ م ،
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الدامغاني ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ط٣ ، ١٩٨٠ .
- الاقتضاء في التداول اللساني ، مجلة عالم الفكر مج ٢٠ ، العدد الثالث ، ١٩٨٩ عادل فاخوري.
- الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ،بيروت ط٣، د. ت .
- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - تحقيق علي محمد معوض - عادل احمد عبد الموجود - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٣م٠
- البحر المديد ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م.
- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١.
- البعد التداولي والحجاجي في القرآن الكريم ، د. قدري عمران ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن، ط١ ، ٢٠١٢ .
- بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٣ م .
- التبيان في تفسير القرآن - أبو جعفر الطوسي(ت٤٦٠هـ) - تحقيق احمد حبيب قصير العاملي - مطبعة النعمان - النجف الأشرف - ١٩٦٣م٠
- تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين أجعيط ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١ ،٢٠١٢
- التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم : د. حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠١١ م .

- التداولية ، سحالية عبد الكريم ، مجلة المخبر الجزائر ، عدد ٥ ، ٢٠٠٩ .
- تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، شيتر رحيمة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر د. ت.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة د. محمد الشيباني ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
- التداولية عند العرب،مسعود صحراوي دارالطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ، ٢٠٠٥ م .
- التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب فلانشيه ، ترجمة صابر حباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية ، سوريا ، ط١، ٢٠٠٧ م .
- التداولية والحجاج(مدخل ونصوص) ، صابر حباشة ،دار صفحات للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر بيروت – دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٧ .
- تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) - محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) - ط١ - الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤م .
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ،محمد جمال الدين القاسمي(ت ١٩١٤ م) ، ط١ ، ١٩٥٧م.
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق : محمد عوض مرعب

  دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- جمهرة الأمثال - أبي الهلال العسكري ، أبو هلال العسكري ، دار الفكر - دار الفكر الطبعة الثانية ، ١٩٨٨تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش
- الجنى الداني في حروف المعاني - الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)- تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل - ط١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٩٢م.
- الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، حسين بوبلوطة ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر ٢٠٠٩ .

- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، د. محمد سالم الطبلة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ٢٠٠٨ م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته ، د. حافظ إسماعيل عليوي،عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ٢٠١٠ م.
- الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وانسكومبر / الرشيد الراضي ، عالم الفكر ، العدد ١، مج ٣٤ ، ٨/ ٢٠٠٥.
- الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة (دراسة تداولية)، ابتسام بن خراف ، أطروحة دكتوراه ،جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر، ٢٠١٠م.
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى - ١٣٤٤ هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها- أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس (٣٩٥ هـ) - تحقيق عمر فاروق الطباع - ط١ - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٩٣م٠
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية د. عز الدين الناجح ، دار نهى ، صفاقس ، ط١، ٢٠١١.
- فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ) ، تحقيق يوسف الغوش ، دار المعرفة بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٨ .
- فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين ، جمال حمود منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٩م .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
- القاموس الموسوعي في التداولية ، جاك موشلار – آن ريبول ، مجموعة من المترجمين ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ٢٠١٠ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-أبو القاسم الزمخشري (٥٣٨هـ) - تحقيق عادل احمد عبد الموجود -علي محمد معوض - ط١-مطبعة العبيكان، الرياض - ١٩٩٨م.

- لسان العرب-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (٧١١هـ)-دار صادر بيروت.
- اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) احمد المتوكل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ٢٠١٠ م .
- مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١ هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، د.ت .
- المحاورة ، مقاربة تداولية ، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ،ط٢، ٢٠١٢ م .
- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر: ١٩٧٩م.
- منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، معاذ الدخيل ، دار القصيم ، الرياض ، ط١ ، ٢٠١٤ .
- الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطبطبائي - ط٢ - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ٢٠٠٢م.
- نظرية أفعال الكلام العامة ، أوستين ، ترجمة عبد القادر قنيني د.ط د.ت .

الوظائف التداولية في اللغة العربية ا د. أحمد المتوكل ، ط١، ١٩٨٥ ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر .